الإسلام .. وتربية الشباب

د. محمد عبد المنعم خفاجى

الناشر
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٣٥٤٤٣٨ - الإسكندرية

الإسلام .. وتربية الشباب

الإسلام وتربية الشباب

د. محمد عبد المنعم خفاجى

كمبيوتر: (دار الوفاء)

طباعة: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

ش ملك حفنى قبلى السكة الحديد

بجوار مساكن دربالة - بلوك رقم٣

الرقم البريدى: ٢١٤١١ - الإسكندرية

رقم الإيـــداع: ٢٠٠٢/٩٤٧١

الترقيم الدولى: 977-327-260-5

تصــديــر

بسم الله وبه نستعين

إن الشباب هو الكنز المدخر للأمة ولمستقبلها ولازدهارها

هو عصب الشعوب، ونواة الخير والقوة والتقدم والرخاء للأمم، واليوم والغد وما بعد الغد للوطن.

وعناية الإسلام بالشباب عناية موصولة وقد كان (ص) يعنى بالشباب كل العناية، ويوجهه إلى الخير أسمى توجيه، ويأخذ رأيه فى المشاكل والأزمات، وقد ولى أسامة بن زيد وهو شاب لم يتجاوز العشرين قيادة الجيش الإسلامى إلى الشام وكذلك كان عمر الفاروق يستشير الشباب إذا حزبه الأمر .. ويأخذ برأيه. إذا ما رأى فيه الصواب.

وفى هذا الكتاب ندرك فلسفة الإسلام فى تربية الشباب، وجوهر الدين فى العناية بشباب الأمة وتوجيهه الوجهة الصالحة ليستطيع خدمة نفسه وخدمة أسرته والمجتمع الذى يعيش فيه، والأمة التى أنجبته والوطن الذى ينتظر الخير على يديه.

وما توفيقى إلا بالله،

المؤلف



الفصل الأول

الشباب ثمرات الحياة

يقول الشاعر العربى:

وإنــــما أولادنــــــا بيننـــــا

أكبــادنـا تمشــــى علـى الأرض

وصدق فيما قال، فنحن ندرك أن أشهى ثمرات الحياة إلى الإنسـان الأولاد، يعرف ذلك من ذاق حلاوتهم ومن ابتلى منهم بالحرمان. وبشدة مرارة الحرمان يعرف قدر نعمة الله بهم على الإنسان، وعلى الأولاد عمارة الأرض وهى مقصود خلق الله للأكوان. قال تعالى:

﴿المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾ (الكهف — ٤٦)

وعن النبى – ﷺ -: "الولد ثمرة القلب"

ولقد صور كثير من الأدباء والشعراء أحاسيسهم بحب الأولاد، وهذه الصور على تنوعها وتلونها تصدر عن عاطفة واحدة، وطبيعة واحدة، هى طبيعة الحب الخالص، والود الصادق.

قال الأحنف لمعاوية: وقد غضب على ابنه يزيد فهجره: يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم سماء ظليلة، وأرض ذليلة، وبهم نصول عند كل جليلة، إن غضبوا فأرضهم، وإن سألوك فأعطهم، وإن لم يسألوك فابتدئهم يمنحوك ودهم، ويحبوك دهرهم.

وعلى ما يتلقاه الطفل فى المنزل من الوالدين، يتوقف إلى حد كبير، تكوينه وإعداده للحياة.

قال الإمام الغزالى: الصبى أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما ينقش عليه، وقابل إلى كل ما

يمال بـه إليه، فإن عـود الخير علمه وعلمه، ونشأ عليه، وسعد فـى الدنيا والآخرة، وشاركه فى ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر، وأهمل إهمال البهائم، شقى وهلك، وكان الوزر فى رقبة القيم عليه، الوالى له، وقد قال الله – عز وجل -:

﴿يأيها الذين ءامنوا قوآ أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله مآ أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾

(التحريم – ٦)

وقد أرشد الإسلام إلى قواعد عامة لتربية الطفل جسميا وعلميا وخلقيا؛ فأرشد إلى ما يقوى جسمه، ويشد عوده، بممارسة أنواع من الرياضة كالمسابقة والمصارعة، والرماية، والسباحة، وكان النبى - ﷺ - القدوة العملية فى ذلك، فعن سلمة بن الأكوع – رضى الله عنه – قال: "مر النبى – عليه السلام – على نفر من أسلمة ينتضلون فقال: ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بنى فلان قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال - ﷺ -: ما لكم لا ترمون؟ قالوا: كيف نرمى وأنت معهم؟ قال النبى: ارموا فأنا معكم كلكم"[1].

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال: "بينا الحبشة يلعبون عند النبى - ﷺ - بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصى فحصبهم بها فقال: "دعهم يا عمر" وصارع النبى - ﷺ - ركانة فصرعه"

وعن عمر – رضى الله عنه – "علموا أولادكم السباحة ومروهم يثبوا على الخيل وثبا".

ودعا الإسلام إلى تعليم الأولاد فى تأكيد فقال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" ولم يقصرهم على لون منه دون لون إلا أنه يرى أن أولى العلوم بالتعليم هو العلم الدينى، لأنه الوسيلة إلى السعادة فى الدنيا والآخرة، وبتعاليم الدين تستقر النفوس وتطمئن القلوب، وتسعى فى شئونها راضية لا يبطرها نجاح ولا يزلها فشل، لأنها تكل مصائر الأمور إلى الله – وجعل التعليم من حق الولد على

---

[1] رواه البخارى

والده وروى البيهقى عن عائشة – رضى الله عنها – أن النبى - ﷺ -: "قال حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأن يحسن موضعه – أى يختار والدته من أصل طيب – وأن يحسن أدبه"[1] وفرض الإسلام العلم على كل مسلم ومسلمة، ولم يقصرهما على لون منه دون لون فلكل منهما أن يأخذ منه ما يلائمه ويعينه على رسالته ووظيفته، فللمرأة أن تأخذ منه ما يعدها أن تكون زوجا صالحة تسر زوجها، وتحسن القيام على شئون منزلها، وأمًّا صالحة تحسن تربية أطفالها، وتوجهها إلى حياة فاضلة سعيدة، وللرجل أن يأخذ منه ما يعده للرسالة التى يختارها لنفسه، ويعينه على تحصيل رزقه.

وأرشد الإسلام إلى قواعد عامة فى الفضائل وآداب الاجتماع هى أسمى ما تصل إليه الآداب فى أرقى المجتمعات، تتمثل فى آيات القرآن الكريم وعمل الرسول - ﷺ -، وعمل أصحابه. ودعا الآباء إلى أن يأخذوا أبناءهم بها لينشئوهم جيلا صالحا يتحلى بالآداب والفضائل؛ لتسعد بهم الأسرة وتسعد بهم الأمة، وتكون كما أرادها الله خير أمة أخرجت للناس قال – تعالى-:

﴿ووصينا الإنسان بولديه حملته أمّه وهنًا على وهنٍ وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولولديك إلىّ المصير (١٤) وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدّنيا معروفا واتّبع سبيل من أناب إلىّ ثمّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (١٥) يبنىّ إنّها إن تك مثقال حبّة من خردلٍ فتكن فى صخرةٍ أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إنّ الله لطيفٌ خبير (١٦) يبنى أقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إنّ ذلك من عزم الأمور (١٧) ولا تصعّر خدّك للنّاس ولا تمش فى الأرض مرحًا إنّ الله لا يحبُّ كلَّ مختالٍ فخور (١٨) واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾. (لقمان – من ١٤ إلى ١٩)

---

[1] كنز العمال جـ ١٦

روح التربية الإسلامية

-١-

التربية الخلقية هى روح التربية الإسلامية.

فلقد أجمع فلاسفة الإسلام على أن التربية الخلقية هى روح التربية الإسلامية، والوصول إلى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقى من التربية. وليس معنى هذا أن نقلل العناية بالتربية الجسمية أو العقلية أو العلمية أو العملية، بل معناه أن نعنى بالتربية الخلقية كما نعنى بالأنواع الأخرى من التربية، فالطفل فى حاجة إلى قوة فى الجسم والعقل، والعلم والعمل، وتربية الخلق والوجدان، والإرادة والذوق والشخصية. وقد اتفق علماء التربية الإسلامية على أنه ليس الغرض من التربية والتعليم حشو أذهان المتعلمين بالمعلومات، وتعليمهم من المواد الدراسية ما لم يعلموا، بل الغرض أن نهذب أخلاقهم، ونربى أرواحهم، ونبث فيهم الفضيلة، ونعودهم الآداب السامية، ونعدهم لحياة طاهرة، كلها إخلاص وطهارة. فالغرض الأول والأسمى من التربية الإسلامية تهذيب الخلق، وتربية الروح، وكل درس يجب أن يكون درس أخلاق، وكل معلم يجب أن يراعى الأخلاق. وكل مؤدب يجب أن يفكر فى الأخلاق الدينية قبل أى شىء آخر، والأخلاق الدينية هى الأخلاق المثالية الكاملة، والخلق النبيل عماد التربية فى الإسلام. ويرى الغزالى: أن الغرض من التربية التقرب إلى الله، دون الرياسة والمباهاة، وألا يقصد المتعلم بالتعلم الرياسة والمال والجاه، ومجاراة السفهاء، ومباهاة الأقران، وهو لا يخرج عن التربية الخلقية. ومن الممكن أن نلخص الغرض الأساسى من التربية الإسلامية فى كلمة واحدة هى: "الفضيلة".

ولم يكن أفق الإسلام ضيقًا فى النظر إلى أغراض التربية، فلم يقصر التربية على الناحية الدينية، ولم يقصرها على التربية الدنيوية بل نادى الرسول الكريم حاثا

كل فرد من الأمة الإسلامية بالعمل لدينه ودنياه معًا، حيث قال: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا". فلم يفكر رسول الله ﷺ فى الدنيا وحدها، أو الدين وحده ولكنه فكر فى العمل لهما معا، بدون إهمال للعالم الدنيوى أو العالم الدينى.

-٢-

كما عنيت التربية الإسلامية بالنواحى الدينية والخلقية والروحية فى التربية والتعليم، لم تهمل العناية بالنواحى الأخرى فى معاهدها ومناهجها. ويتضح هذا الغرض من كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الولاة: "أما بعد، فعلموا أولادكم السباحة، والفروسية، ورووهم ما سار من المثل، وما حسن من الشعر". فعمر يأمر بتعليم الأولاد السباحة والعوم، والفروسية والرياضة البدنية، والمهارة الحربية، والعناية باللغة العربية، ورواية الأمثال السائرة، والشعر الحسن، وأن أثر علماء الإسلام فى النهضة العلمية لا يستطيع أن ينكره إلا كل مكابر متعصب، قال (مونرو) فى كتابه "تاريخ التربية": "ففى الطب والجراحة وعلم العقاقير، والفلك، وعلم وظائف الأعضاء – وصل المسلمون إلى اختراعات هامة، واخترعوا ساعة البندول .. وعلموا أوروبا استعمال البوصلة والبارود".

وقد كان من رأى الفارابى وابن سينا وإخوان الصفا أن الكمال الإنسانى لا يتحقق إلا بالتوفيق بين الدين والعلم.

-٣-

وكان طلاب العلم من المسلمين يدرسونه لذاته، فهو فى نظرهم ألذ شىء فى الحياة والإنسان محب للإطلاع بفطرته، لهذا عنى فلاسفة الإسلام بدراسة كثير من العلوم والآداب والفنون، ليشبعوا ما لديه من ميل فطرى إلى حب الاطلاع والمعرفة. وهذه هى التربية المثالية حيث يدرس الطالب العلم لذات العلم، والأدب لذات الأدب والفن لذات الفن، لأن فيها لذة علمية أو أدبية أو فنية لا نظير لها. قال الحاج خليفة فى (كشف الظنون) "والعلم ألذ الأشياء وأفضلها .." وقال فى موضوع

آخر: "ليس الغرض من الدرس تحصيل الرزق فى هذه الدنيا، ولكن الغرض الوصول إلى الحقيقة، وتقوية الخلق"، أى الوصول إلى الحقيقة العلمية، والخلق الكامل.

فالتربية الإسلامية كانت مثالية، تطالب بالعلم لما فيه من لذة روحية، وللوصول إلى الحقائق العلمية، والأخلاق النبيلة، وأن من ينظر إلى ما خلفه المسلمون من تراث علمى وأدبى، ودينى وفنى يجد أمامه ثروة خالدة لا نظير لها فى العالم كله، تدل على شدة تعلقهم بالعلم لذاته، والأدب لذاته، والفن لذاته، وليس معنى هذا أنهم أهملوا التعلم لكسب الرزق كلية. ويتبين هذا من الغرض التالى:

-٤-

ولم تهمل التربية الإسلامية إعداد كل فرد لكسب رزقه فى الحياة، بدراسة بعض المهن والفنون والصناعات، والتدرب عليها ويظهر هذا الغرض واضحًا من قول ابن سينا: إذا فرغ الصبى من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته، فيوجه لطريقه .. ويعد إعدادا مهنيا أو فنيا أو صناعيا حتى يجيدُ مهنة من المهن، أو فنا من الفنون، أو صناعة من الصناعات حتى يتمكن من كسب رزقه، ويحيا حياة شريفة، مع المحافظة على الناحية الروحية والدينية، فالتربية الإسلامية كانت خلقية غالبًا، ولكنها لم تهمل إعداد الفرد للحياة، وكسب العيش والرزق ولم تنس تربية الجسم والعقل والقلب، والوجدان والإرادة والذوق واليد واللسان والشخصية.

الفصـــل الثانى



الإسلام يقود المجتمع الجاهلى إلى الله

أشرق نور الإسلام على بقاع الجزيرة العربية، فملأها ضياء وحياة وأملا وأمنًا.

بدل الإسلام ظلام الحياة نورا، وشقاءها سعادة، وجد بها ثروة، وهمجيتها مدنية، وحياتها القبلية نظامًا وعدلا وأمانا.

أشرق النور الإلهى على الأرض بنزول القرآن، وبرسالة سيد ولد عدنان، رسول الله صلوات الله عليه، المبعوث رحمة للعالمين، ولخير الإنسان والإنسانية، حتى صارت أمته خير أمة أخرجت للناس. (١١٠آل عمران).

ويرى الباحث فى تاريخ العرب قبل الإسلام مبلغ ما كان يسود المجتمع آنذاك من تنافر وخصام وشقاق وحروب، ومن تفاخر بالأحساب وتكاثر بالأنساب، وأكل لأموال الناس بالباطل، ولحقوقهم بالغصب والبهتان، ومن عصبية ظالمة هوجاء، تقوم معاملاتهم على الربا، وعلى الظلم والبغى فى الأرض بغير الحق، يقدسون الأصنام والأوثان ويعبدونها آلهة من دون الله.

جاء الإسلام فهذب الطباع وغيّر العادات والتقاليد، وحمى الحقوق، ورعى العهود والأمانات، ونظم شئون المجتمع: الفرد والمرأة والعامل والفقير واليتيم، والناس - بالتشريع الإلهى السماوى المنزل من عند الله، ومحا ما كان فاشيا من الفساد والضلال، داعيا إلى المحبة والوئام والسلام بين الناس .. حرم أكل أموال الناس بالربا[1] وبالباطل[2] كما حرم الميسر والخمر[3] والزنا[4]. وحل تشريع السماء

---

[1] وأحل الله البيع وحرم الربا - ٢٧٥ البقرة.

[2] ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - ١٨٨ البقرة.

[3] إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون - ٩١ المائدة.

[4] والذين لا يعبدون مع الله الها آخر، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق اثامًا - ٦٨ الفرقان.

محل تشريع الأرض والقبيلة، وجعل المؤمنين أخوة فى الله وفى الدين، "إنما المؤمنون أخوة[1]" وساوى بينهم فى الحقوق والواجبات .. الكرامة والعزة بالتقوى والعمل الصالح، فقال تعالى فى كتابه الحكيم: "أن أكرمكم عند الله أتقاكم[2]"

إنها شريعة الله

إنها رسالة الإسلام

إنه حكم القرآن الكريم وإرشاده وتوجيهه الحكيم، وتهذيبه السليم للطباع والغرائز والأخلاق والسلوك" ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون[3].

وأخذ الجيل الجديد يتخلق بأخلاق القرآن، ويهذب نفسه بآداب رسول الإسلام، فنهض بحمل الأمانة وتبليغ الرسالة، والدعوة إلى الله على بصيرة، وكانوا الطليعة الأولى للإسلام.

أبدل الإسلام الجاهليين بحياتهم الفاسدة حياة شريفة سمحة لا يستبد بها طيش، ولا يسودها بغضاء، ولا يفسدها ظلم، ولا يعكر صفوها طغيان.

أبدلهم بالجفاء والغلظة والجهل وخشونة الطباع وعنجهية القول وسوء المعاملة أدبا كريما، وخلقا نبيلا، مأثورا وطباعا نقيض بالرحمة والشفقة والحنان والإنسانية، وتعتمد على طهارة القلب، وسلامة الصدر وصفاء الروح.

وقضى الإسلام على المعتقدات الزائفة والعقائد الباطلة والأوهام الفاشية، داعيا إلى الله وإلى الدين القيم والتوحيد الخالص، والسلوك الشريف المستقيم.

بعث فيهم حب المعرفة والتفكير والعلم والاستقامة والتقوى واستقلال الشخصية والصلاح ودعا إلى المحافظة على حقوق الله وحقوق الناس، دون بغى أو عدوان أو فساد فى الأرض، وبذلك صاروا خير أمة أخرجت للناس[4].

---

[1] ١٠ الحجرات.

[2] ١٣ الحجرات.

[3] ٢، ٣ البقرة.

[4] ١١٠ آل عمران.

وجاء الإسلام بنظام اقتصادى عادل، وأدق حرصا على الحاجات الإنسانية، وأحسن عناية بالفرد وبالمجتمع، وأحكم ضبطا للحقوق العاملة، وأوسع حرية لنشاط الإنسان، حتى يزدهر الإنتاج بفضل الطموح والنبوغ. والابتكار، والسعى وراء الرزق.

وكذلك أبطل الإسلام ما كان عليه العرب من وأد للبنات، واحتقار للمرأة، وامتهان للفقير والعامل والخادم والعبيد.

وركز الإسلام على أخلاق الفرد وضميره، ليكونا وازعا له، ولينشط فى الحياة، ويسعى فى الأرض، مدفوعا بقيم ودوافع داخلية سامية، وليس بدوافع وحوافز خارجية كالخوف من ذى سلطان أو العقاب أو غير ذلك.

وهذا التغيير النفسى والروحى الذى أحدثه الإسلام فى الفرد العربى حوله إلى طاقة خارقة للإنتاج والتطور، وقلبه من خضوعه التام وركوده الشامل إلى حركة دائبة.

وأخطر من ذلك كله، ما أحدثه الإسلام فى نفوس العرب من نظرة جديدة إلى أنفسهم وإلى العالم، فبعد أن كانوا قانعين فى جزيرتهم بالجهل والجمود والوثنية وبالفقر والبداوة والفتن الداخلية، صاروا ينظرون إلى الأمام وقد شغفوا بدينهم، وبما يدعوهم إليه من تعلق بالغد، ومن موت فى سبيل الحياة، ومن رسالة نبيلة يجب عليهم إشاعتها بين الناس وفى جميع الأمم.

وهكذا أصبحوا فى خلال نصف قرن خير أمة أخرجت للناس .. بل أصبحوا أمة نموذجية بين الأمم، بعد أن جابوا الآفاق البعيدة وساروا إلى غاياتهم بلا خوف ولا وجل، اقتحموا البلاد فاتحين وتجارا وروادا ومصلحين نظرهم ممدود أبدا إلى الأمام، فبنوا دولة شاسعة الأطراف قال عنها خليفة عباسى عندما رأى سحابة فى الجو "امطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك". وهو بالضبط ما كان يقال عن الإمبراطورية البريطانية قبل الحرب العالمية الثانية من أن الشمس لا تغرب عنها: ولئن لم تعد الشمس تجد من هذه الإمبراطورية مكانا باقيا لتشرق عليه، حيث نالت معظم شعوب هذه الإمبراطورية حريتها فإن الإسلام ما زال مشرقًا فى جميع بقاع الأرض. وفى هذا آية لأولى الألباب.

الإسلام هو المنهج الرفيع للإنسان وللمجتمع وللأمة

لقد أدى جمود الفكر الإنسانى عند المسلمين بعد عصور طويلة من الركود والتخلف إلى التماس نظم ومذاهب اجتماعية وسياسية واقتصادية كثيرًا ما تتباين مع جوهر الإسلام وشريعته الخالدة. فى حين أننا لو التمسنا فيما جاء به الإسلام من قواعد للسلوك والأخلاق والمعاملات والعلاقات والنظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لظفرنا بنظرية متكاملة للحضارة والمجتمع يمكن أن تتطور وتنمو لتتواءم مع كل زمان ومكان.

فالإسلام دين الفطرة يتوافق مع الحياة ويشاكلها ولا يشذ عنها وكان هديا فى صدر الإسلام لمن قاموا على الدولة الإسلامية الناشئة فى تنظيمها وفى سياستها وفى إقامة أمورها لا يحول بينهم وبين الاقتباس من أنظمة أخرى مالا يجافى جوهر الإسلام وشريعته ولا يقعد بهم عن النظر فيما يساعدهم على بناء نظامهم الاقتصادى وإدارتهم للدولة. ويحملهم عليه ما صارت إليه الجماعة الإسلامية من امتداد واتساع ونفوذ واتصال بحضارات ونظم قديمة ما لبثت أن دانت بالإسلام دينا وشريعة وحياة فى ظل دولة إسلامية امتدت من جدار الصين إلى سيف "الاوقيانوس".

فلما وهن الفكر الإسلامى عند المسلمين، وذوت الحضارة الإسلامية، وأسلم المسلمون قيادهم لحضارة غربية غالبة، نسوا فى فترة الإحياء، أن يتبينوا طريقهم للتقدم على هدى ماضيهم العظيم وشريعتهم الخالدة، وغلب عليهم الفكر الغربى بكل ما فيه من ضلالات.

لقد بهرهم الشكل دون الجوهر، فلم يسيروا مع الغرب فى الثقافة والعلوم، ولا فى الصناعات والاكتشافات، وإنما أخذوا من الغرب ظواهر المدنية وبهارجها الزائفة.

والإسلام دين وعقيدة ومنهج حياة يتفق مع العلم والعقل، وهو كما قال ابن قيم الجوزية: "أينما كانت المصلحة فثم شرع الله" ويكمل ابن عقيل ذلك فيقول: "وإن لم ينزل في ذلك وحي ولا قال به الرسول". وحسب الإسلام فخرا إقراره لشريعة التوحيد وإقراره لحقوق الإنسان ولمبادئ الحرية والإخاء والمساواة.

والحضارة الإسلامية ازدهرت في ظل العقيدة والمقررات الدينية وجمعت بصورة باهرة بين التفكير المنطقي والشعور الذاتي، كما يقول الدكتور محمد حسين هيكل مؤلف "حياة محمد" وبين قواعد العقل وهدى العلم.

أما حضارة الغرب، فإنها تعيش مع صراع مرير بينها وبين الدين ومقررات الكنيسة، حيث قام الدين عندهم على علاقة مهمة بين الإنسان والقوى الغير المنظورة دثرتها طقوس كنيسة مبهمة معقدة، مما عدوه مجافيًا للعلم وللعقل.

ونحن نعلم أن رسالة الإسلام هي آخر الرسالات وأنها هي التي قد اكتملت بها شريعة الحياة حين صاغت للناس حياتهم المادية والروحية فشرعت من الدين ما شمل الدنيا والآخرة وحررت النفس من نوازع الضلال والشرك، وأرست قواعد الأخلاق على أساس من توقير الحياة وإعلاء الكرامة الإنسانية، وأقامت قواعد الدين وسنن الكون على أساس من التأمل والفكر السليم لا يناقض العقل فيها الإحساس ونظم العلاقات الاجتماعية والواجبات الإنسانية، على أساس من الواجب والمسئولية. وحدد المثوبة والجزاء وربط بين الدين والحياة برباط من الوحدة والاتساق، لا يشذ فيهما أحدهما عن الآخر، ولا يتنكب الإنسان في أحدهما سبيل الخير، فكان دين الفطرة، يتوافق مع كل زمان ومكان ويتوافق مع العلم ولا يجفوه، يحض عليه ويوصي بطلبه، فكان تقدم العلم في ظل الإسلام - كما يقول "همايون كبير"، حيث رد الإسلام للعقيدة والإيمان إلى العقل والرؤية الصائبة.

فالحياة الإسلامية في استنادها إلى الفكر الإسلامي والشريعة الإسلامية تقوم على أساس هو النقيض من أساس حضارة الغرب اليوم، فهي تقوم على أساس روحي يدعو الإنسان إلى إدراك صلته بالوجود إدراكًا قويمًا.

وحضارة الإسلام: "تختلف من هذه الناحية عن الحضارة الغربية المتحكمة اليوم في العالم، كما تختلف عنها في تصوير الأساس الذي يقوم هذا التصوير عليه، وهذا الاختلاف بين الواحدة والأخرى من هاتين الحضارتين جوهري إلى الحد الذي يجعل أساس كل واحدة منهما نقيض الأساس الذي تقوم عليه الأخرى".

الإسلام أضاء الحياة أمام الإنسان، فشرع العلم بدلا من الجهل والحضارة بدلا من البداوة والأخلاق الفاضلة بدلا من الرذائل الزائفة الفاسدة.

واللغة العربية نفسها هي دعامة من دعائم الحياة الإسلامية، وذلك لأنها أعرق اللغات منبتا، وأعزها جانبا، وأقواها جلادة، وأغزرها مادة وأدقها تصويرا، لما يقع تحت الحس، وتعبيرا عما يجول في النفس. نزل القرآن بلسانها فجعلها أكثر رسوخا وأشد بنيانا، وأقوى استقرارا .. وبفضل القرآن صارت العربية أبعد اللغات مدى، وأوسعها أفقا، وأقدرها على النهوض بتبعاتها عبر التطور الدائم الذي تعيشه الإنسانية.

واستطاعت اللغة العربية في عالمية الإسلام أن تتسع لتحيط بأبعد انطلاقات الفكر، وترتقي حتى تصل أرقى اختلاجات النفس، وليس هناك معنى من المعاني، ولا فكر من الأفكار، ولا عاطفة من العواطف، ولا نظرية من النظريات، تعجز اللغة العربية عن تصورها بالأحرف والكلمات تصويرا حيا بارزا ..

والإسلام ختام للأديان السماوية، وهو بذلك رباط لها من الناحية التاريخية، كما كان في الوقت ذاته تصحيحا لما أصابها من تحريف الفلاسفة والوضعيين.

ولقد كان هذا كله قوة دفع للفكر الإسلامي، وما اتصل به من حياة ومن هنا انطوى التفاعل الإسلامي على قوة غلبت كل التحديات الجاهلية .. فانتشر طابع العقيدة الإسلامية على فاعلية لم يعرف في تاريخ الإنسانية لها مثيل.

الوسطية فى الإسلام

الوسط يعنى الأفضل، ويعنى الاعتدال فى كل شىء، ويعنى الوسط الحقيقى بين أمور مكروهة.

والإسلام دين الوسط، أى الدين الأفضل، لأنه دين الاعتدال فى كل شىء، ولأنه وسط حقا بين أديان تجرد الإنسان للدنيا، وأديان تجرده للآخرة.

فهو دين الدين والدنيا، ودين الحق والواجب، ودين الفرد والمجتمع، دين يقف وسطا بين الإيثار والأثرة، وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة، وبين حق الحاكم وحق المحكوم، والوسط فى عرف المفكرين اعتدال بين رذيلتين، فالشجاعة وسط بين التهور والجبن والعدل وسط بين الظلم والضعف، والاقتصاد وسط بين التبذير والتقتير.

إن الإسلام وسط فى كل شىء، ومن ثم كان دين الإنسانية كلها ودين المثل العليا الرفيعة فى الحياة، ودين الفكر والعقل والاتزان فى كل شىء، أنه "دين القيمة" (٥ سورة البينة).

وسطية الإسلام فى الاقتصاد فى أنه يقيم التعادل بين حق الفقير وحق الغنى، وحق الفرد وحق المجتمع.

ووسطيته فى الحكم بما سن من الشورى التى تجمع بين الحاكم والمحكوم فى نظام واحد، وتجعل حق الحاكم وحق المحكوم شيئا واحدا وتفرض العدل المطلق على الحاكم، وتجعله محاسبًا على عمله، وتجعله ملزما بالعمل بشريعة الله، وبالمساواة بين الناس، وإيثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وتطبيق القانون على نفسه كما يطبقه على الأمة وعلى الناس جميعًا.

ووسطيته فى نظام الأسرة بما فرض من شريعة الزواج، وبما أباح من الطلاق ومن تعدد الزوجات، وبما سن من العدل بين الأبناء وبين الزوجات، وبما فرض من المساواة بين الأولاد فى كل شيء، وبما سن من شريعة الميراث والوصية.

وهكذا يقف الإسلام وسطا فى كل شيء، فهو لا ينكر مطالب الجسد، ولا ينكر مطالب الروح، وهو يطالب بالزهد، ويطالب بالعمل والسعى فى الحياة، وهو يبيح الملكية الخاصة ويحميها، وإن كان يجعل للفقير وللمجتمع حقًا فى أموال الغنى بما سن من زكوات وصدقات ودعوات للإحسان، ومن نظم للوقف وللمضاربة والزراعة والشركات وغير ذلك.

والإسلام لا يتجاهل مطالب غرائز الإنسان، ومن ثم فهو يحرص على ألا يقاوم فطرة الإنسان التى فطره الله عليها، وعلى ألا يمنع عن الإنسان مطلبيا مشروعا له، ولكنه يأخذ بيده فى الطريق المستقيم ليصل به ومنه إلى غايات الإنسان المشروعة، وليستكمل حاجاته الضرورية فى الحياة، على هدى من شريعة الله.

لا يمنع الإنسان من غريزة الجنس، ولكنه يهذبها ويجعل الزواج هو السبيل المشروع أمام الرجل، ويفرض عليه العمل، ليستطيع أن يلبى مطالب أسرته الضرورية وحقوق أبويه وأقاربه عليه.

ولا يمنع الإنسان من غريزة التملك، ولكنه يرشده إلى أن عليه فى ماله زكاة، وأنه مطالب دائما بالصدقة والإحسان إلى الفقراء واليتامى والمساكين، ومطالب بصلة الرحم، ومطالب بحقوق المجتمع عليه.

وهو يحث الإنسان على العمل للآخرة دائمًا، ولكنه يفرض عليه أيضًا العمل للدنيا ليكسب قوته وقوت من يعوله، وفى الحديث الشريف "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا".

ويفرض العمل على القادر عليه، ويقيم التوازن الكامل بين حق العامل وحق صاحب العمل، ويجعل مسئولية العامل وصاحب العمل عن العمل ونجاحه مسئولية واحدة.

وهكذا نجد الإسلام الكريم دين الوسط في كل شيء، وفي كل جانب، وفي كل أمر من أمور الحياة.

وأمة الإسلام من أجل ذلك هي الأمة الوسط بين الأمم جميعًا. والله عز وجل يقول في كتابه الحكيم "وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا"، ويقول: "هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج، ملة أبيكم إبراهيم، هو سماكم المسلمين من قبل، وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، واعتصموا بالله، هو مولاكم، فنعم المولى ونعم النصير" (٧٨ الحج).

الوسطية في الإسلام هي التي تجعله الدين الصالح لكل زمان ومكان، وصدق الله العظيم: "إن الدين عند الله الإسلام".

والإسلام انطوى على طاقة روحية جعلت منه قوة فعالة، بل أن فاعلية الإسلام في هذا الجانب شملت حياة الفرد، وحياة الجماعة من جميع الجوانب .. والشيء المهم في هذه القوة الفعالة أنها كانت أصلاً جذريًا يمس أساس الأوضاع في حياة الناس، وحركتهم في الحياة.

والإسلام كان منذ أن أشرق نورُه دين دعوة وتبليغ، وفكرة الدعوة في الإسلام قد واءمتها ظروف الانتشار في أقطار الأرض. وفي ظلال الدعوة المستمرة. والتبليغ القائم، تمكن الإسلام من أن يصبح في أقل من ربع قرن مقوما أساسيا من مقومات الحياة الإنسانية.

والإسلام دين سهل ميسر غير معقد، ولا مركب في عقيدته ونظمه وتعاليمه، وهو في الوقت ذاته دين مباشر يتصل فيه الإنسان بالخالق سبحانه وتعالى دون وساطة. قال تعالى: "وقال ربكم ادعوني استجب لكم"، وقال تعالى "وإذا سألك عبادي عني فأني قريب" وقال رسول الله ﷺ، "إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله"؛ وقد لا يجد الباحثون في العقائد عقيدة تطلب من الإنسان شهادة أبسط من شهادة الإسلام، على عمقها وعظمتها "لا إله إلا الله محمد رسول الله" عبارة سهلة رائعة. تقف بالإنسان على عتبة الإسلام وتدخل به وهو مسلح بالحق والعدل والصدق .. وكانت القاعدة الثابتة لدى من بشر بالإسلام، أن الدين يسر لا

عسر، ومن هنا كان الاطمئنان الروحى والفكرى أول ما يستشعره من يدخل فى دين الله.

والإسلام دين رحب يدعو إلى سبيل العقل فى حدود أصول العقيدة، كما يدعو إلى سبيل الضمير والحق، ومن هنا كانت الدعوة إلى النظر وإلى المعرفة أساسًا من أسس الدعوة الإسلامية، وكان التفتح البصير مفتاح الدعوة للحضارة، والإسلام فى رحابته الروحية استطاع أن يمتص كل ألوان الحبوات فى البلاد التى أوقد فيها قناديل الضياء، وأن يسبغ عليها طابعا إسلاميًا شاملاً.

والإسلام دين للدنيا والآخرة، وقد ترتب على ما اتصف به الإسلام من جمع بين الروح والمادة أنه أصبح دينا رحبا يلائم حياة الناس .. كذلك أصبح الإسلام أكثر التصاقًا بالحياة. وفى الوقت ذاته أصبحت العقيدة على اتصال دائم بالبناء والتجديد.

والإسلام دين قيم وضوابط سلوكية، وهذه القيم يتصل بعضها بحياة الأفراد، ويتصل بعضها الآخر بحياة الجماعات، فالإسلام أعطى نظاما متكاملاً للحياة سواء من وجهة نظر الفرد أو من وجهة نظر الجماعة .. وقد يكون من أبرز القيم التى استند إليها نظام الحياة الإسلامية فكرة القيمة للإنسان واستنادها إلى فكرة المسؤولية قال تعالى: "كل نفس بما كسبت رهينة" وفى الحديث الشريف "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" ثم فكرة الإخاء التى تجعل المسلم ينتمى إلى جماعة المسلمين، ويحس بأنه عضو فى المجتمع الإسلامى يعمل لمصلحة الجماعة، والجماعة تسعى للارتفاع بمستوى الفرد.

والقرآن الكريم وهو أعظم كتاب عرفته الإنسانية فى تاريخها الممتد الطويل تضمن القواعد الكفيلة بقيام المجتمع الإنسانى السليم الذى تنشده الأمة فتجد فيه مبتغاها من التشريعات الفردية .. والعلائق الأسرية والمعاملات الاقتصادية والحربية.. والقوانين المدنية .. وبعبارة أخرى تجد فيه الأمة كل ما تحتاج إليه فى حياتها العامة والخاصة والدين والدنيا. وإذا كان الإنسان ذلك الكائن الحى لا وجود له ولا حياة بغير الروح والقلب والعقل، فإن المسلمين لا كيان لهم ولا حياة بغير القرآن فهو لهم الروح والعقل والقلب.

الفصـــل الثالث

الأصول التربوية فى الإسلام

تمهيد:

أن المعجزة التربوية للإسلام هى معجزة شامخة خالد تالدة، فهذا التغيير الشامل للإنسان الجاهلى وتحويله إلى شخص مسلم مؤمن بالله وكتابه ورسول من العجب أنه تم فى ثلاثة وعشرين عاما هى مرحلة البعثة النبوية، وما كان يتصور أحد حدوثه فى أقل من ثلاثة قرون، وهذه المدة هى امتداد لما بعد البعثة النبوية الشريفة إلى وفاة رسول الله عليه الصلاة وأزكى السلام.

فترة قصيرة كون فيها الرسول الأعظم جيلا جديدا مؤمنا موحدا مستعدا للتضحية بكل شىء، فى سبيل تبليغ الرسالة إلى الأرض كافة.

خرج رسول الله جيلا من العرب، ممن آمنوا برسالته، وصدقوا بنبوته، وساروا على هدى سننه وشريعته. وهذا الجيل هو الذى حمل على كاهله أعباء الدعوة والرسالة، وهو الذى قام بنشر الإسلام فى العالم، وهو الذى انتصر فى اليرموك والقادسية، وهو الذى هزم امبراطورية كسرى وقيصر، وهو الذى وضع أسس الحضارة الإسلامية التى عم ضوؤها الدنيا واستظل بظلها العالم كافة.

والوسائل التربوية لرسول الله هى فى حد ذاتها معجزة من المعجزات، وتعد خارقة من خوارق العادات، وهى كثيرة متعددة وسنتحدث عنها هنا بالتفصيل بإذن الله تعالى وفضله وتوفيقه.

١- الدعوة إلى توحيد الله وحده لا شريك له:

أمر رسول الله صلوات الله عليه بدعوة الناس كافة إلى توحيد الله وإلى عبادته وحده لا شريك له، مالك الملك ذى الجلال والإكرام، وإلى نبذ الشريك والصاحبة والولد، وإلى الاعتقاد بالإله الواحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن

له كفوا أحد[1] بيده كل شيء، وعنده مفاتيح السموات والأرض، وهو القاهر فوق عباده، وهو العزيز الجبار المتكبر المهيمن على الكون وكل ما فيه ومن فيه، من ملائكة. وإنس وجن من عالم الغيب، وهو القوى القادر وهو الخالق لكل شيء والمدبر لكل أمر والمسيطر على ملكوت السموات والأرض، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، ما اتخذ الله من صاحبة، وما كان معه من إله.

وعقيدة التوحيد فى الإسلام هى إيذان من الله بأن الإنسان لا يمكنه السعى فى الحياة، ولا العمل فى جوانبها إلا إذا ملأ قلبه إيمانًا بالله ورسوله ليكون ذلك الإيمان عصمة له من الضلال والتيه فى الأرض، ووقاية له من الانحراف والخذلان، وعاصمًا له من الردى والزيف والفساد، وعونًا له على أن يشق طريقه فى أرجاء الدنيا، ليعمل وليسعد نفسه والناس بتوفيق من الله.

ويؤكد "همايون كبير" أحد أعلام الثقافة الإسلامية فى الهند أن التوحيد، وهو جوهر العقيدة الإسلامية فى صلة الإنسان بخالقه، ويقوم على ما أثبته العلم من اتساق هذا الكون العظيم وثبات سننه، فهذا الوجود الكونى الكبير المتسق الثابت المحكوم بسنن ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحول لابد أن يكون صنع إله واحد عظيم ليس كمثله شيء وهو خالق هذا الكون ومبدعه الذى لا شريك له .. وهى حقيقة يدركها العقل دون عناء .. ويقول أيضًا: إن الإسلام تنقل بالإنسان من عصر الخرافة إلى عصر العلم، ومن الإيمان المجرد إلى الإيمان العقلى المدرك. فالإسلام دين العقل والمعرفة، وهو على خلاف المفهوم الغربى للدين إذ يتناول علاقة الإنسان لعالم الغيب، كما يتناول صلات الإنسان بالإنسان فى شريعة تقوم على العدالة والإنصاف وتتسم بالبساطة والدقة فى كل ما يتصل بحياة الإنسان على الأرض.

فإذا كان الإسلام قد واءم بين القوى المادية والقوى الروحية، ووفق بينهما، فقد جمع بين مشاعر الإنسان وعقله، وبين الفكر التجريدى والواقع العلمى، بل إن التوحيد وهو جوهر العقيدة الإسلامية قد أدى بالتالى إلى تقويض قواعد

---

[1] سورة الإخلاص.

المساواة والعدالة والإخاء والحرية، فالمسلمون إخوان يجب أن تقوم المحبة بينهم مقام البأس، بل مقام القانون - كما يقول مؤلف حياة محمد - فلا يكمل إيمان أحدهم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه والناس أحرار فى كل شىء، أحرار فى العقيدة نفسها، فلا إكراه فى الدين، ولا إيمان إلا بعد اقتناع بالحجة والموعظة الحسنة.

وهذا التوفيق بين القوى المادية والقوى الروحية، وبين التجريد والواقع، وبين المدرك والغيبى، هو الذى صاغ الحياة الإسلامية والفكر الإسلامى، وهو الذى قامت عليه حضارة الإسلام يوم قدر لها أن تسود العالم وأن ترفع منارة الإسلام فى الخافقين.

وهذا التوفيق الذى قامت عليه الحياة فى الإسلام هو نقيض ما قامت عليه الحياة فى الغرب الأوروبى وما أخذت به من نظم الحياة والمجتمع؛ وقد أعلنت حضارة الغرب إفلاسها فيما يراه مفكروها فى عجزها عن التوفيق بين ما هو مادى وما هو روحى، وكانت الثورة على الدين والكنيسة معا سمة النهضة الأوروبية، إلا أن الانطلاق من قاعدة الحضارة الدينية وإن أفرزت حضارة مادية هائلة قد أفرزت من ناحية أخرى إنسانا تائها بين وجوده والغاية من وجوده وغذته بأفكار ضالة شاردة من الأنانية والنفعية والتفوق العنصرى، مزقت روحه، وتوشك أن تعصف بحضارة العصر وتوردها موارد الهلكة والبوار، وليس هذا مؤلفا، وإنما هو الكبار من مفكرى الغرب "كويلز" و"برتراند راسل" و"برنارد شو" وغيرهم وغيرهم.

الإيمان بالله هو القوة الدافعة الموجهة التى تسند الضعيف من أن يسقط، وتمسك القوى من أن يجنح، وتعصم الغالب من أن يطغى، وتمنع المغلوب من أن ييأس، ونحن نعلم أن الملحدين هم أكثر الناس إقدامًا على الانتحار لأنه ليس فى قلوبهم بصيص من النور يبعث الأمل فى الحياة. وشريعة التوحيد التى هى شهادة الدخول فى الإسلام بالإقرار بوحدانية الله وبرسالة رسول الإسلام، وهى خير تربية للإنسان فى الحياة، إذ أنها هى التى ترفع رأسه إلى السماء، وتجعله سيد نفسه،

وتزيح عنه سيطرة المشعوذين، وأوهام المتسلطين، وخرافات دعاة الوسائط والأساطير والمزاعم الباطلة بشركاء لله خالق الأرض والسماء.

٢- التربية الروحية السامية

وكما كان الرسول صلوات الله عليه المثل الأعلى للمسلمين في قوة الإيمان والخوف من الله، وفي كل جوانب صلته بالخالق العظيم كان المسلمون الأولون حريصين كل الحرص على التمسك بروح هذه التربية النبوية السامية، فكانوا يراقبون الله في السر والعلن، ويخشونه ويتقونه ويطيعونه عن رغبة وعمق يقين وصدق إيمان، وكانوا يلتزمون بكل ما أمر به الدين، وبما دعاهم إليه الرسول الأمين من واجبات ومسئوليات والتزامات وطاعات.

كان هذا الصفاء الروحي ينطلق من الإيمان بالله، ويصفو بالتجربة الشخصية في محاولة التغلب على أسر الحدود، والخروج من ظلام المادة، والسمو إلى الكامل. فالمؤمن هو في شوق دائم إلى الكمال والجمال والجلال. وأنه في وجوده هذا وسط متحرك بين بداية متصلة بفيض الوجود عليها الله رب العالمين، وذلك مما عبر عنه القرآن في تواصل الإنسان من لدن آدم عليه السلام لما قال "فإذا سويته ونفخت فيه من روحي"[1] ثم في بلوغه منتهاه وغايته، وهو العود إلى ربها "يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي"[2].

ثم أن هذا الصفاء الروحي المرتبط بالتجربة لم يكن في الإسلام فوضى. وإنما هو مرتبط بالوحي، وكل خروج عن حدود الوحي هو البدعة والضلالة، كما بين ذلك الإمام أبو اسحاق الشاطبي في كتابه "الاعتصام" وذلك لما عرف البدعة "طريقة في الدين مخترعة تضل من يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه"، ثم أنه كان يخصص كتابه كله وفاء لبيان هذه الحقيقة. وكما أن الصفاء

---

[1] ٢٩ الحجر.

[2] ٢٨ - ٣٠ الفجر.

الروحي بعد تقيده بالوحي ليس بعدا عن الحياة، وتركا للجد السعي فيها، ولكنه يزداد شفافية بمقدار ما يطلع الإنسان. على قوانين الكون قال تعالى: "ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه، كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء. أن الله عزيز غفور[1]. وبهذا كان الحس فى التفكير الإسلامى عاملا من عوامل تعميق جذور الإيمان فى القلب وسببا لزيادة صفاء الروح إشراقًا، وكانت هذه الأمة أمة وسطا لأن الوفاء بمتطلبات الروح هى بجانب الرياضة الروحية تأمل وبحث، وتجربة حسية لاكتشاف سر الله فى الأكوان وفى الذات "سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"[2].

وهى إنسانية من ناحية أخرى. ذلك أن المؤمن إذا ما أراد أن يستعين على تشتت نفسه، وتناقش دخيلته فإنه يستعين على ذلك بما علمه الله إياه فى ختام قرآنه. "قل أعوذ برب الناس، ملك الناس إله الناس" فهو لن يستطيع أن يمضى قدما فى تجربته الروحية إذا تخلى عن مبدأ الوحدة الإنسانية فى اتصالها برب العالمين. ومن هنا ينعطف ختام القرآن رب الناس - على بدايته الحمد لله رب العالمين. ولن يكون جهده الروحى جهدا حقيقا بالاعتبار ويترتب آثاره إذا اعتزل القول فى الكون قال تعالى: "فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب"[3]. فمع النصب التوجه إلى الله.

ومن تمام التربية الروحية التى أخذ الرسول الكريم صلوات الله عليه المسلمين بها حث القرآن والحديث النبوى المسلمين على العمل الصالح ولقد تكرر وصف العمل بالصالح فى القرآن أكثر من تسعين مرة، حثا عليه، وتنويها به، وتبشيرا بحسن الجزاء عليه. وإننا إذا ما تأملنا فى العبادة الأصلية فى الإسلام، أعنى الصلاة، فإننا نجدها تجمع بين الحضور الروحى والنشاط العملى وأنها ليست أملا خالصًا ولا اهتزازات ولا رقصات وشطحات، ولا هى توترات عنيفة؛ ولكنها نشاط روحى فى تأمل

---

[1] فاطر ٢٧ و٢٨.

[2] فصلت ٥٣.

[3] ٧، ٨ الانشراح (الشرح).

لأنها في أوضاع مختلفة "وقوموا لله قانتين" "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود"[1] وكذلك الحج بما يصحبه من سفر وسعى وانتقال بين أماكن المناسك، ويكاد القرآن كلما ذكر الإيمان قرنه بالعمل الصالح. فالصفاء الروحى لا يتحقق إلا بالعمل الصالح، ولا يتحقق العمل الصالح إلا بالصفاء الروحى.

وفى الحديث الشريف المأثور عن رسول الله (ص) "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" وإذا كان القرآن قد دعا المؤمنين إلى السير فى الأرض أربع عشرة مرة فإنه قرن هذه الدعوة بالتأمل والاعتبار ثلاث عشرة مرة، والمرة الوحيدة التى أهمل فيها هذا العطف كانت فى ثنايا قصة سبأ. وفى هذا دليل آخر على دقة القرآن وأنه تنزيل من حكيم حميد، لأن الطاقة البشرية أعجز من أن يحضرها مثل هذه الدقائق، والقرآن ميز الإنسان من ناحية أخرى وكرمه وفضله على كثير من المخلوقات. ولذا هو يمنع منعًا باتا أن تتسلط القوة لتكره الإنسان أو تحمله حملا على أى عمل سواء كان هذا الفعل حسنا أو قبيحا إيمانا أو كفرا، فالإكراه والقوة والخوف ثلاثى مفلول فى البناء الإسلامى. ذلك أن عزة المؤمن والإنسان فى حريته فى الفعل والاعتقاد، وأنه يتحمل مسؤوليته كاملة بما ينتج عن أفعاله. وكل فعل هو يقاس بمقدار آثاره، فكلما كانت نتائجه الصالحة تمس أفرادا أكثر فى العائلة الإنسانية، كان العمل أوفر أجرًا وأعلى مقامًا فى سلم التقدير.

ولقد حرص رسول الله (ص) على أن لا يكره الطبيعة البشرية فى الإنسان على شىء، داعيًا إلى تهذيب هذه الطبيعة ووقف هجومها، فالمسلم حين يدعو مولاه العلى الأعلى لن ينتزع من نفسه هو، ولا من نفوس الآخرين من الناس، الخصائص البشرية، ولن يحول الطبيعة الآدمية إلى ملائكية لأن فطرة هذا الدين تأبى عليه ذلك.

"فطرة الله التى فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون"[2].

---

[1] سورة الفتح ٢٩.

[2] الروم ٣٠.

ومسايرة الإسلام للفطرة أنه يعطى الطاقة الحسية غذاءها ويمنح الطاقة الروحية مجال العمل والإبداع، أنه لا يفصل ظاهر الإنسان عن باطنه، ولا يميت غرائزه ليحيى أشواق روحه، لأن المنهج الذى رسمه، وأقام عليه أسسه التربوية، هو التوازن بين جميع طاقات الإنسان الجسمية والفكرية والروحية.

ولو تركت الفطرة البشرية على أصلها، ولم تفسد بفعل الأهواء الجامحة والنزعات المتطرفة، لما انحرفت عن عهد الله، ولا زاغت عن هداه ولا ضلت عن سبيله، لأن موجبات الهداية ممزوجة بكيان الإنسان منذ نشأته، ودلائل الحق تنبع من نفسه، ومن الكون حوله، فينطلق فى جو الحقائق الناصعة التى تتحرر بها العقول من الأوهام والتعطل، وتطهر بها القلوب من جوانب الانحراف، وضغوط الأهواء، قال تعالى فى حديث قدسى "إنى خلقت عبادى حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم" (رواه مسلم).

وهل أصدق من فطرة يؤيدها العقل الواعى، وتزكيها البصيرة النيرة وإذا فسدت الفطرة فى الإنسان اختلت النسب فى نفسه، فلا يرى الحياة إلا من خلال جزئية واحدة من جزئياتها: من خلال الجنس أو الترف المادى أو الصراع الطبقى، أو التفسير المادى للتاريخ، أو النظرة الغيبية للوجود، أو الانعزالية فى أوحال الركود.

ومن المسلم به عند علماء التربية أن الحقيقة الأشمل، هى الحقيقة الأجمل، وأنه كلما اتسعت جوانب النظرة والفكرة وتناسقت، كان ذلك أقرب إليها، وكلما اختلت النظرة، وضاقت الفكرة أهمل جانب على حساب جانب آخر، وتلاشت الحقيقة بين المغالاة والجحود، ذلك أن رسالة الإسلام شاملة لا تفرق بين شؤون المعاش والمعاد، ولا تفصل بين العمل الدينى والعمل الدنياوى، وإذا طلبنا الدنيا فلا يطغى علينا حبها فتمتلكنا بدل أن نمتلكها، وتنحصر جهودنا كلها فى مآربها ومطالبها فلا نشبع ولا نقنع، ولا نصغى إلى نداء الروح فينا، ولا إلى صوت الضمير.

وإذا كان الجسد والروح على طرفى نقيض عند الفلاسفة الإغريق والخصومة بينهما هى المحور الأساسى الذى يقوم عليه فهم العقيدة المسيحية، فليس الأمر كذلك فى الإسلام، لأن نظرته إلى الإنسان متكاملة وهو لا يخالف طبيعة الحياة، فلا

مكان عنده للرهبنة والانقطاع للعبادة واعتزال الحياة، وهو لا يزهد في طيبات الدنيا، ولكنه لا يحب أن يكون الناس عبيد أنفسهم وشهواتهم، يعيشون للمتع وحدها، ويتهالكون على الملذات، ويتهاوون في المحرمات، كرد فعل عنيف لما أصابهم من فقر وحرمان، فيحبسون في سجن المادة، وينحصرون في مطالب الجسم، ودنيا الغرائز، فيفقدون العفاف والقصد.

وقد وصف رسول الله ﷺ قوما اصيبوا بالتطرف المادى فاعتلوا فقال: "إن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم فضعفت قلوبهم وجمحت شهواتهم" (رواه البخارى).

كما نهى آخرين تغالوا في الجانب الروحى، فعزموا ألا يأكلوا اللحم وعزم آخرون على ألا يتزوجوا وقال البعض: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: "ما بال الأقوام يقول أحدهم كذا وكذا .. ولكنى أصوم وافطر وأنام وأقوم، وآكل اللحم، وأتزوج النساء هذه سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى" (رواه الصحيحان).

(٣) تربية الضمير

كان صلوات الله عليه يقظ الضمير، يجيش فى صدره أدق المشاعر ويدق فى جوانحه تنبيهات ضميره.

كان يشعر بالمسئولية ويقوم بها على أكمل وجه، يحاسب نفسه على كل صغيرة وكبيرة، ويسجل عليها كل هفوة وكل شىء مهما صغر قدره، وكان يخاف الله ويخشاه حق خشيته ويتقيه حق تقواه، ويحرص كل الحرص على أن يكون كما أمره الله جل جلاله: طهارة نفس، ونزاهة صدر، ونقاء طوية وصفاء روح، وأن يكون سلامًا وأمنا للناس.

لم يشعر فى يوم من الأيام بوخز الضمير، من أجل تقصير فى مسئولية أو تفريط فى أداء واجب، أو إهمال فى أداء حق.

وكان المسلمون الأول يقتدون به فى كل شىء فكانوا أمثالا عالية لغيرهم من المجتمعات البشرية.

كان صلوات الله عليه يقول لأصحابه: يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروا فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة:- رواه مسلم[١].

ويقول صلوات الله وسلامه عليه لابن عباس: احفظ الله تجده أمامك وتعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا[٢].

وكان يقول: اللهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى رواه مسلم[٣].

وكان صلوات الله عليه كما يروى عن عائشة يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال (ص): أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا - متفق عليه[٤].

---

[١] ٩ رياض الصالحين للإمام النووى.
[٢] ٣٣ رياض الصالحين.
[٣] ٣٦ رياض الصالحين.
[٤] ٤٦ رياض الصالحين.

٤- تهذيب الوجدان والشعور والعاطفة

كان صلوات الله عليه ذا وجدان رقيق، وشعور قوى حساس، وعاطفة سامية صادقة، وكان بذلك يعلم المسلمين أن يكونوا مثله، وجدانا مهذبا وشعورا يقظا، وعاطفة نبيلة وقلبا حيًا.

وفى الحديث الشريف: إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صدوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم[1] - رواه مسلم.

وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

سمعت رسول الله يقول: عليك بكثرة السجود فإنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة[2] - رواه مسلم.

وكان رسول الله أكمل المؤمنين إيمانًا وأحسنهم خلقا وأيقظهم ضميرا ووجدانا وشعورا، كان خلقه القرآن كما تقول السيدة عائشة رضى الله عنها، ولقد بلغ من حسن الخلق ما لم يبلغه أحد وما لم يصل إليه إنسان.

وكان يرشد المسلمين إلى كل ما يهذب طباعهم ويرقق مشاعرهم ويسمو بوجدناتهم وأحاسيسهم وعواطفهم إلى مرتبة الإنسانية.

وبحق قيل عنه: الإنسان الكامل ﷺ.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندى شيئا غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبى علينا، فأخبرته، فقال: من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار.

---

[1] ٦ رياض الصالحين للإمام النووى.

[2] ٤٨ رياض الصالحين للإمام النووى.

إنسانية فى التعامل، وإنسانية فى القيادة، وإنسانية فى التربية والتعليم والتوجيه، ما بعدها إنسانية.

ربى رسولى الله المسلمين الأولين على الرحمة والخير والبر والمعروف والنجدة والشهامة، وعلى الإنسانية فى كل عمل، حتى مع الحيوان، فيقول صلوات الله عليه: دخلت امرأة النار فى هرة حبستها لا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض - رواه البخارى وغيره.

العطف على الطفل واليتيم والمسكين والمريض وابن السبيل والضيف، وعلى كل ذى محنة وشدة، وعلى من انتابته الأحداث والكروب، فإنقاذه واجب، ومساعدته فريضة.

وفى الحديث الشريف:

من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة[1] - رواه مسلم.

---

[1] ٩٦ رياض الصالحين.

(٥) الإرشاد إلى قواعد السلوك

وكما كان (ص) يعلم الناس أمور دينهم ودنياهم، كان كذلك يرشدهم إلى قواعد السلوك وأصول الأخلاق، وعظمة الفضائل. وقصته مع العربي (الأقرع ابن حابس) الذى دخل على الرسول وهو يقبل سبيطه فقال للرسول أن لى عشرة من الولد ما قبلت أحدا منهم قط فقال له الرسول من لا يرحم لا يرحم. فأرشده رسول الله إلى ضرورة الرحمة والحنان فى التعامل مع الأطفال وأن الرحمة من الإيمان. قصة معروفة.

وكان صلى الله عليه وسلم يقول: خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى - رواه الترمذى.

وقد منح الله عز وجل نبيه (ﷺ) عظمة ومهابة، وجعل لقوله من المحبة والقبول فى قلوب الناس مالا يحتاج معه إلى بيان.

يقول القاضى عياض فى كتاب "الشفاء": ألقى الله عز وجل على كلامه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له من المهابة والحلاوة لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة.

انظر كيف يخاطب أصحابه وهو يعلمهم، روى عن معاذ رضى الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد.

وعرض أعرابى لرسول الله وهو فى مسفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها، ثم قال: يا رسول الله أو يا محمد: أخبرنى بما يقربنى من الجنة وما يبعدنى من النار، فنظر النبى (ﷺ) إلى أصحابه ثم قال: لقد وفق، أو لقد هدى، قال: كيف قلت؟ فاعاله فقال النبى (ﷺ): تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم - رواه مسلم.

كان الرسول يريد أن يكون الناس ملائكة تمشي على الأرض، وأن يقفوا مع الحق والخير، وأن يتعاونوا على البر، وألا يشين أحد نفسه بكذبة أو خيانة. أو غدر أو استهتار، أو نكوص عن حق.

يقول صلوات الله عليه: إن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة[1] - متفق عليه.

ويقول: الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء[2] - رواه مسلم.

ويقول: اتق الله حيثما كنت، واتبع الحسنة السيئة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن - رواه الترمذى وقال: أنه حديث حسن.

ويقول صلوات الله عليه: من سنّ فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، ومن سنّ فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده.

وفى الحديث الشريف: حق المسلم على المسلم: السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة - متفق عليه[3].

---

[1] ٢٩ رياض الصالحين.

[2] ١٩ رياض الصالحين.

[3] ٩٤ رياض الصالحين.

(٦) القدوة الصالحة

كان رسول الله كما يقول الكتاب العزيز. "لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد"[1].

كان القدوة الحسنة العظيمة للمسلمين، قدوة فى أخلاقه، فى شمائله، فى حياته، فى سلوكه، فى أعماله، فى أداء الواجب وتحمل المسئولية، فى إيمانه وفى عمله وفى كل شىء، فى الصدق والمروءة والوفاء بالعهد وحفظ حقوق الناس، وفى العفة والطهارة والنزاهة والشرف، وفى قوة الضمير، وفى الاستماع إلى مشورة أصحابه، وفى كل جانب من جوانب الحياة.

وتعلم المسلمون من ذلك أن يكونوا القدوة الحسنة لمن عداهم حتى من المشركين، الذين لم يلبثوا أن دخلوا فى الإسلام حبا فى أخلاق المسلمين، وإعجابا بما هم عليه من شمائل وأمانة وإنسانية.

ونتعلم من ذلك أن الأبوين يجب أن يكونا قدوة لأبنائهم وأطفالهم التزاما بالإيمان، وطاعة الله فى السر والعلن، واجتنابا للرذائل، وحرصا على الفضائل، وتركا للمعاصى، وحبا فى التقوى والبر والرحمة والصدق والنزاهة.

وأن المدرس يجب أن يكون بأخلاقه قدوة حسنة لتلاميذه.

والحاكم يجب أن يكون بعدله وأمانته وإنصافه ونزاهته قدوة للمحكوم.

والغنى بكرمه وعطائه وإحسانه يجب أن يكون قدوة للفقير.

والمجتمع كله يجب أن يكون القدوة الكريمة للفرد، ليسير على ما يسير عليه المجتمع من آداب وفضائل وسلوك وحسن معاملة وأمانة وشرف.

---

[1] ٦ الممتحنة.

(٧) حقوق الإنسان مصونة

واحترام رسول الله (ﷺ) للإنسان وكرامته، وحفظه لحقوقه، وصيانته لها. أمر معروف.

لم يعتد يوما من الأيام على أحد ولو بكلمة، ولم يمنع أحدا من إبداء رأيه، ولم يصادر مالا لأحد، ولم يحجز على أحد فى ماله أو فى أمر من أمور حياته.

كرامة الإنسان وعرضه وماله ودمه وحريته التامة فى حدود المسئولية وتعاليم الله، كل ذلك مصون.

مساعدة المسلم فى عيشه وشئون رزقه وتهيئة فرص العمل له واجب.

حق الإنسان فى تكوين الأسرة، وفى الملكية، وفى العمل، كل ذلك مصون.

ومن ذلك تعلم المسلمون أن يحافظوا على حقوق الناس كل المحافظة وألا يعتدوا على أحد أو على هذه الحقوق وما ماثلها، وأن لا يفرطوا فيها وألا يستهينوا بلون من الاستهانة بها.

وفى الحديث الشريف: لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة[١] رواه مسلم.

وقال رسول الله صلوات الله عليه:

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[٢] - متفق عليه. أى من كلامه ومن فعله.

حرية الإنسان فى الإسلام شاملة عامة، حرية تنطوى تحت المسئولية لا يقيد الإنسان أى قيد ولا يحجر عليه، ولا يحول بينه وبين التصرف أحد فيها مادام قد بلغ سن الرشد ولا يمنعه من التصرف فى ماله أحد إلا بأسباب شرعية وفى ظروف خاصة.

---

[١] ٨٦ رياض الصالحين.

[٢] ١٨٨ رياض الصالحين.

لكل فرد أن يبدى رأيه فى سياسة الحاكم ويناقشه الحساب، ولعلك أيها القارئ تذكر كلمات عمر المأثورة: إن رأيتمونى على حق فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فقومونى .. أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم، وأنى وليت عليكم ولست بخيركم. بل لعلك تعرف مناقشة امرأة له فى فكرة تحديد المهور وردها عليه، وقوله لها وقد ذكرته بالحق: "أصابت امرأة وأخطأ عمر". والصلة بين الرؤساء والمرءوسين صلة الأب بأبنائه والراعى برعيته .. الإمام راع ومسئول عن رعيته وأمور الناس تحكم بالشورى .. "وشاورهم فى الأمر"[1]، "وأمرهم شورى بينهم"[2]، حتى حرية الدين الذى نص عليها القرآن الكريم بقوله: "لا إكراه فى الدين"[3] ما دام هذا الدين الذى يؤمن به الإنسان دينا سماويا صحيحا. أما الشرك والوثنية فلا يعترف بهما الإسلام لأنهما انتكاس فى الإنسانية، وطمس للفطرة الإلهية، وقضاء على كرامة الإنسان وعقله ووجود الفكرى والروحى والأدبى والاجتماعى.

أين هذه الحرية الآن فى القرن العشرين عصر الكهرباء والذرة والعلم؟ أين حريات الأمم السياسية وحريات الرأى والفكر والحريات الشخصية، إنها أوهام وخيالات لا وجود لها فى كثير من الأحيان، رغم أن المفكرين قد سئموا من الدعوة إليها، ورغم حماية القوانين العامة للهيئات الدولية والأمم المتمدينة لهذه الحريات.

ليست الحرية فى الإسلام حرية فى الهدم ولكن فى البناء، أنها الحرية التى لا يحدها شيء إلا توجيه الضمير ورقابة الروح الدينى فى النفس ونزعات الفطرة الإنسانية فى الإنسان.

حرية عامة شاملة تعم الحاكم والمحكوم وتشمل الشعوب الصغيرة والكبيرة، ويطلقها الإسلام لكل مسلم ومسلمة، وتتناول الشعب الفاتح والشعوب المغلوبة على أمرها على السواء. فأين هذا. من الحرية عند الغرب التى لا يتمتع بها إلا السادة

---

[1] ١٥٩ آل عمران ..

[2] ٣٩ الشورى.

[3] ٢٥٦ البقرة.

المستعمرون، أما الشعوب المستعبدة فتعيش فى أشد استعباد، وأفظع ضغط على حريات الناس الخاصة والعامة فيها؟

أما الإخاء فى الإسلام فهو إخاء عام شامل، المؤمنون جميعا بل الناس كافة إخوة فى الله وإخوة فى الإنسانية .. "إنما المؤمنون إخوة" حتى الخدم جعلهم رسول الله صلوات الله عليه إخوان المخدومين فقال: "إخوانكم خولكم" ألغى الإسلام نظام الطبقات وألغى العنصرية الكاذبة والعصبيات الحمقاء، وألغى نظام الألقاب "المسلم أخو المسلم لا يظلمه" وقال "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" و"مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد" "الناس من آدم وآدم من تراب" الحسب والنسب والمال لا تغنى عن الإنسان شيئا، وهل فى ذلك أبلغ من قول رسول الله صلوات الله عليه لابنته؟: "يا فاطمة اعملى فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا" وقوله صلوات الله عليه: "إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالإباء" "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" فأين هذا مما تعمله أمريكا الديموقراطية فى رعاياها اليوم: البيض لهم كل شىء فى الدولة والزنوج والسود لا حق لهم على الإطلاق، بل ليسوا مثل أولئك فى البشرية وفى الكرامة الأدبية فى الحياة.

وأما المساواة فى الإسلام فهى مساواة كاملة بين المرأة والرجل والصغير والكبير والمحكوم والحاكم، بين جميع الطبقات والجماعات، بين الأغنياء والفقراء .. مساواة لا تعرف فيها ظلما ولا عنتا ولا آثاما. القانون الإسلامى يشمل الجميع لا فرق بين إنسان وإنسان، والعدالة تطبق على الجميع بلا محسوبية ولا استثناف. يقول رسول الله: "والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها". ووزعت الحقوق والواجبات على الأفراد على حد سواء، وفتح الإسلام آفاق الوصول إلى أسمى الغايات أمام المتنافسين من كل جنس ولون وأمة، حتى لقد ولى رسول الله بلالا على المدينة وفيها سادة المسلمين من الأنصار والمهاجرين وبلال عبد حبشى اشتراه أبو بكر وأعتقه، وأسند إلى مهران الفارسى ولاية اليمن وهو من صميم

الفرس، فلما مات أسندها إلى ابنه. ويقول رسول الله فى سلمان الفارسى الأعجمى: "سليمان منا أهل البيت".

وقد سار خلفاء محمد على نهجه فى المساواة التامة بين النـاس والمسـلمين كافة. قال الحسن البصرى: حضر إلى باب عمر سهيل بن عمرو بن الحارث بـن هشـام وأبو سفيان بن حرب فى نفر من قريش من تلك الرءوس، وصهيب وبلال مـن أولئك الموالى - أى الذين كانوا عبيدا قبل الإسلام وهم من عناصر غير عربيـة وقد شـهدوا بدرا، فخرج إذن عمر لأولئك الموالى وأخر السادة فقال أبو سفيان: لم أرَ كاليوم قط يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لا يلتفت إلينـا؟ فقال سهيل وكـان رجـلا حصيفا: إن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم، دعى القوم ودعيتم فأسـرعوا وأبطأتم .. فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم؟

وألغى الإسلام ورسوله الكريم الامتيازات الفرديـة والطائفيـة، ومحـى مـا بين الطبقات من الفروق فى الحقوق والواجبات، ووحد الشريعة وأخضع لها الكافة لا فرق بين حاكم ومحكوم فى عصر كان الناس فيه يؤمنون بأن الحاكم ظل الله فى أرضه .. عدالة تامة بـين الجميـع حتـى لقد شـكا يهودى علـى بـن أبـى طـالب فـى خصومـة، فأحضرهما عمر أمير المؤمنين وقال عمر لعلى: قف يـا أبـا الحسين بجـانب خصمـك. فبدأ التأثر على وجه على فقال له عمر: أكرهت يا على أن تقف إلى جانب خصمك؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين ولكنى رأيتـك لم تسـو بينـى وبينـه إذ عظمتنـى بالتكنيـة ولـم تكنه. ورأى عمر رجلا وامرأة على فاحشة فجمع الناس وخطبهم وقال: مـا الـرأى إذا رأى أمير المؤمنين رجلا وامرأة على فاحشة؟ فنهض إليه على قائلا: يـأتى علـى صحـة قوله بأربعة شهداء وإلا فيقام عليه حد القذف.

إن المساواة تامة فى كل شىء بين النـاس عامـة فـى الإسـلام .. مسـاواة فـى الحقوق والواجبات، فى الكرامة وأمام القانون، لأن الناس خلقوا متساوين فـى حكـم الله لا فضـل لعربـى علـى عجمـى إلا بـالتقوى والعمـل الصـالح "إن أكرمكـم عنـد الله أتقاكم" ويقول عمر: "أما والله ما أرسـل عمـالى إليكم ليضربـوا أبشـاركم ولا ليـأخذوا أموالكم، ولكن أرسلتهم إليكم ليعلموكـم دينكـم وسـنتكم، فمـن فعـل بـه سـوى ذلـك

فليرفعه إلى، فوالذى نفسى بيده إذن لأقصنه وقد رأيت رسول الله صلوات الله عليه يقص من نفسه.

ولقد سوى الإسلام بين الناس فى الحقوق والواجبات وجعلهم سواء أمام الشريعة، فالشريعة ماضية عليهم جميعهم.

روى أن امرأة من بنى مخزوم سرقت فقالت قريش: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أى ليضع عنها الحد، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ؟ فكلم أسامة رسول الله فقال الرسول: "أتشفع فى حد من حدود الله؟" ثم قام فخطب فقال: "يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد. وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها".

هذه مساواة بين الشرفاء والضعفاء فى الحدود، فلا توضع عن شريف لشرفه إذا ارتكب موجبها .. وبين الرسول أن التفرقة بين الضعفاء والشرفاء فى الحدود كانت العلة فى ضلال الأمم السابقة.

المساواة فى الإسلام .. مساواة كاملة بين الناس جميعا: بين المرأة والرجل والصغير والكبير والمحكوم والحاكم، بين جميع الطبقات والجماعات، بين الأغنياء والفقراء مساواة يحميها الإسلام وكتابه ورسوله وخلفاؤه، ولا تعرف أى لون من ألوان التمييز بين الناس حتى لقد كان الخليفة عمر يمشى وعبده معه راكب، وولى رسول الله بلال الحبشى على المدينة وفيها سادات الأنصار والمهاجرين، وأسند إلى مهران الفارسى ولاية اليمن وقال: "ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى" وأذن الخليفة عمر لصهيب وبلال وسواهما من عامة الموالى بالدخول عليه قبل سادة قريش، وألغى الإسلام الفوارق والامتيازات ووزع الحقوق والواجبات على الأفراد على السواء وصار الحاكم والمحكوم جميعا على قدم المساواة فى المسئوليات والالتزامات، ويؤيد مبدأ المساواة فى الإسلام عدالة اجتماعية قوية أيدها ودعا إليها وتقوم على الأخوة والتكافل العام وأساسها التحرر الوجدانى وتتخذ من الضمير البشرى

والتشريع القانونى وسائل لتحقيقها وإذاعتها بين الناس فأين هذا من الفلسفات الحديثة التى تتنكر لمبدأ المساواة؟.

إن المساواة هى أكبر الضمان ضد الشرور والآفات الاجتماعية التى زلزلت الأمم، والتى قد تكون أساسًا لأكثر هذه الحروب المهلكة للبشر.

فالديموقراطية الإسلامية التى هى أساس الحكم الصالح والحياة السعيدة هى ديموقراطية لا شبيه لها، وليست المظاهر الخادعة من أشكال الحكم على تنوعها بواحدة مثل الديمقراطية فإن أساسها فى الضمير، فلو أنها استقرت فى الحياة الحالية واتخذت سبيلها الذى أراده الإسلام لكانت كفيلة بالقضاء على أعظم مصادر الشر وآفته الاجتماعية.

والفروق الطبيعية بين الناس من الذكاء والحسب والجاه والمال والعلم حاول الإسلام تخفيف أثرها بتقريب الطبقات بعضها إلى بعض وبتشريعات الإسلام العادلة فى الزكاة والضرائب وأموال المسلمين وردها على الفقراء وصرفها للمساكين. ومما فرضه الإسلام على العالم أن يرشد الجاهل وعلى الصحيح أن يواسى المريض، وعلى الغنى أن يعطف على الفقير، وعلى الكبير أن يرحم الصغير.

حرية وإخاء ومساواة لم يعرف للإسلام فيها نظير أو شبيه لأنه دين الحق والبينة والإخلاص الدينى الذى جاء لإنقاذ البشرية والنهوض بها من الذلة إلى العزة ومن الجهل إلى العلم ومن الفقر إلى الرخاء ومن البداوة إلى الحضارة، حتى لقد قال برناردشو: لابد أن تعتنق الامبراطورية البريطانية النظم الإسلامية قبل نهاية هذا القرن، ولو أن محمدا بعث فى هذا العصر لقاد العالم إلى الإسلام والسعادة المنشودة.

وقال توماس كارليل: لقد أصبح من العار على أى فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى ما يقال من أن الدين الإسلامى باطل وأن محمدا خداع ومزور، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل تلك الأقوال السخيفة المخجلة فإن الرسالة التى أداها ذلك الرسول الكريم ما زالت السراج المنير مدة ثلاثة عشر قرنا لنحو مائتى مليون من الناس.

(٨) الأمر بالشورى

كان صلوات الله عليه يستشير أصحابه ويأخذ برأيهم فى أحيان كثيرة كما رأينا فى غزوة بدر حيث استشار أصحابه فى مكان المعركة، وكما رأينا فى غزوة الخندق حيث أخذ برأى سلمان الفارسى فى حفر خندق حول المدينة لإمكان الدفاع عنها.

الشورى فى الإسلام شريعة إسلامية يقول تعالى: "والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم"[1] وقال تعالى: "وشاورهم فى الأمر"[2].

ففى الآية الأولى يفهم أن الشورى لازمة فى كل الأمور وفى الآية الثانية رفع الله من شأنها إذ جعلها فى المقام الثالث بعد الاستجابة إلى الرب وإقامة الصلاة. ومما يزيد فى قيمتها أنها كانت عنوانا للسورة بأكملها وتحمل ثناء من الله للمؤمنين الذين جعلوا أمرهم شورى بينهم. وكان الرسول ﷺ أكثر العاملين بالشورى يلجأ إليها فى مختلف المسائل التى لم ينزل فيها وحى حتى أن أبا هريرة قال: "لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ".

ولم يبخل عليه أصحابه برأيهم كلما تأكد لديهم أن الموضوع ليس مما نزل به الوحى أى ليس مما شرعه الله لعباده وتذكر لنا كتب السيرة عدة مناسبات تخلى فيها الرسول الكريم عن رأيه الخاص مفضلا عليه ما ذهب إليه أصحابه وبذلك ضرب لهم المثل على صدق ما قاله "لا خاب من استشار" وإذا كانت الشورى واجبة الاتباع فى كل الأمور الهامة فهى بالنسبة لاختيار الحاكم أوكد.

إن ما يشعر به الخلق من ضرورة التعاون على اكتساب معاشهم وضمان أمنهم وتحسين أوضاعهم الاجتماعية يفرض عليهم التسليم بوجود أمير يقودهم إلى ما فيه

---

[1] ٣٨ الشورى.

[2] آل عمران ١٥٩.

مصلحتهم الدينية والدنياوية وقد حث الرسول الأعظم على ضرورة اتخاذ هذا الأمير عندما قال: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم".

فإذا لزم على الثلاثة أن يؤمروا أحدهم عليهم فمن باب أولى وأحرى أن تتخذ الأمة لنفسها سلطانا، ومما يدل على أهمية هذا الأخير ما روى من "أن السلطان ظل الله في الأرض" وهذا المعنى الأخير يفسر لنا ما ورد في الآية: "يا أيها الذين أمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم". والتأكيد على الطاعة أمر ضروري بالنسبة لقوم لم يألفوا الانقياد ولم ينجح أحد في امتلاكهم، وليس الأمر خاصا بالعرب لأن ظاهرة التمرد والرفض كانت معروفة في أغلب المجتمعات وفي أغلب العصور. فربط الإسلام الطاعة بالإيمان والتمسك بالشريعة كما بين ذلك أبو بكر عندما ولي الخلافة في خطبته:

"أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم".

وربط جانب الدين بالدنيا كثير الورود على ألسنة كبار الصحابة من ذلك ما قاله علي بن أبي طالب: "قدم رسول الله أبا بكر يصلي بالناس وأنا حاضر غير غائب وصحيح غير مريض ولو شاء أن يقدمني لقدمني فرضينا لدنيانا من رضيه الله ورسوله عليه السلام لديننا".

ومع أن أبا بكر الصديق قدمه الرسول ﷺ لإمامة المسلمين فإنه لم يتسلم مقاليد الخلافة إلا بعد مشاورات بين كبار الصحابة ومناقشات حادة أبدى فيها كل حزب مزايا مرشحه وتعرف الناس من خلالها على السياسة التي سيسلكها كل واحد منهم إذا ما تم انتخابه، فأعجبهم برنامج أبي بكر والذي أعلن عنه للعموم عندما خطب فيهم للحصول على بيعتهم وهو هذا: "أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني: الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا قوم ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم".

(٩) التكافل الاجتماعى

كان رسول الله يخلط الفقير بنفسه، يعطيه ما هو فى أمس الحاجة إليه من طعام أو شراب أو لباس، وكانت زوجاته مثله كرما وعطاء وجودا وبرا ورحمة، يبادرن إلى عمل الخير ما استطعن إلى ذلك سبيلا.

وكان صلوات الله عليه يرعى الطفل واليتيم والفقير والمسكين وابن السبيل والرقيق والمريض والعاجز، وفى كتاب الله العزيز: "فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة، فك رقبة أو إطعام في يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة"[١].

الفرد فى الإسلام فى خدمة الجماعة والجماعة فى خدمة الفرد الجميع فى مجتمع واحد، ومن نسيج واحد، تجمعهم الأخوة فى الدين والإنسانية "إنما المؤمنون إخوة"[٢].

وجعل رسول الله (ﷺ) من تمام إيمان المرء أن يحب للناس ما يحب لنفسه فى كل شىء، فكما يحب أن يسلم من إيذاء أحد يجب أن يحب أن لا يؤذى أحدا، وكما يكره أن يعتدى عليه أحد يجب أن يكره أن يعتدى هو على أحد. يقول (ﷺ): "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لغيره ما يحب لنفسه"[٣] - متفق عليه.

بل وكما يحب المسلم أن لا يخونه أحد وألا يكذب عليه إنسان يجب أن يحب أن يكون هو كذلك، بل وكما يحب أن لا يتعرض أحد بسوء لعرضه أو لماله كذلك يجب أن يحب ألا يتعرض لأحد بسوء فى ذلك وفى غيره، لأن المجتمع نسيج واحد، وأسرة واحدة، ويعمل الجميع لغاية واحدة وفى ظل تعاليم شريعة سماوية كاملة.

---

[١] ١١ - ١٦ سورة البلد.

[٢] ١٠ الحجرات.

[٣] ٧٦ رياض الصالحين.

وكما يحب المسلم أن يعطف عليه الناس وهو مريض أو في أزمة ومحنة وضائقة يجب أن يكون كذلك مع الناس.

الفقير موضع عناية المجتمع كله في الإسلام، بشتى أفراده وطبقاته وطوائفه، فلا مكان للبخل والشح في عمل الخير، ولا فضل للمال بعون بذل وصدقة وإحسان وزكوات.

وفي الحديث الشريف: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان"[1] - متفق عليه.

ويقول الله عز وجل في محكم كتابه:

"واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا، وبذى القربى واليتامى والمساكين، والجار ذى القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب وابن السبيل"[2].

---

[1] ٨٢ رياض الصالحين.

[2] ٣٦ سورة النساء.

(١٠) محاربة الفقر

الرسول صلوات الله عليه وبتعاليم السماء كان أشد الناس حربًا للفقر، حرب عوان لا هدنة فيها كان يأمر المسلمين بالصدقة والإحسان والخير وعمل المعروف، وبالعطاء والكرم والجود، وببذل المال فى كل واد من أودية البر.

ونحن نعلم أن إخراج الزكاة، فريضة، وأن من شريعة الإسلام نظام المضاربة ليعمل الفقير فى مال الغنى وله نصف الربح.

وفى الإسلام شريعة الوقف والوصية وغيرهما.

وفى الحديث الشريف: "على كل مسلم صدقة"[١] – متفق عليه.

وقال صلوات الله عليه: "كل معروف صدقة" – رواه البخارى ومسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"[٢] – متفق عليه.

وقرن رسول الله (ﷺ) صلة الأرحام بتوحيد الله عز وجل فقال فى حديث عمرو بن عتبة: دخلت على النبى (ﷺ) بمكة فى أول عهد النبوة فقلت له:

- ما أنت؟
- قال: نبى.
- فقلت: وما نبى؟
- قال: أرسلنى الله تعالى.
- فقلت: بأى شىء أرسلك.
- قال: أرسلنى بصلة الأرحام، وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شىء[٣].

---

[١] ٥٩ رياض الصالحين.
[٢] ١١٦ رياض الصالحين.
[٣] ١٢٢ رياض الصالحين

وفريضة الزكاة هى أحد أركان الإسلام وهى واجبة على كل مسلم يملك نصاب الزكاة وقد فرضت فى السنة الثانية للهجرة، ولعظمة هذه الفريضة حارب أبو بكر المرتدين الذين قالوا: ما لنا وللزكاة وخرجوا بذلك عن شريعة الإسلام.

وهذا الركن الكبير من أركان الإسلام هو رسول السلام، وداعى المحبة والتعاون والعطف بين الناس، والمقوى للروابط بين الأفراد والطبقات، والمستل لأحقاد النفوس وأضغانها، والمقرب بين القلوب، لتصير الأمة كتلة واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى. الزكاة أجلّ إصلاح اجتماعى أتت به شريعة إلهية، وأكبر دعوة إلى التعاطف والتساعد والتماسك بين الناس، وهى وما حبب فيه الإسلام من الصدقة والإحسان ورعاية الفقير وإكرام الجار وقرى الضيف وابن السبيل أعظم حل عملى لأعظم مشكلة عالمية استفحلت اليوم وهى الشيوعية ودعوة الشيوعيين.

ولما مات رسول الله صلوات الله عليه كانت القبائل العربية لا تزال بحمقها وجاهليتها غاضبة ناقمة على الإسلام وشريعته فى الزكاة فارتد الكثير منهم عن الإسلام، فصمم أبو بكر على محاربة هؤلاء المرتدين مهما كان وهو يقول: "والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه".

ونهض بنفسه لحرب المرتدين حتى أصاخوا لدعوة الإسلام وأدوا لأبى بكر زكاة أموالهم التى كانوا يؤدونها لرسول الله.

رحمك الله يا عمر لقد سبقت العالم المتحضر إلى ما يعملون، فقد كنت تصرف للفقير من بيت مال المسلمين طعامه وكساءه وغطاءه، وكنت تحمل على ظهرك القوت لتذهب إلى من تستطيع الذهاب إليه من الفقراء.

إن الزكاة ركن كبير من أركان الإسلام، وفيه علاج حاسم لأمراض المجتمع، وتقريب كبير بين طبقات الأمة وتعاون الأغنياء والفقراء ورفع لمستوى الأمة الاجتماعى، ودواء لأهم مشكلة من مشاكلنا العامة .. ألا وهى الفقر.

وإخراج الزكاة وتقديرها موكولان إلى ضمير المسلمين ودينهم، وهم المسئولون عن ذلك أمام الله وأمام المجتمع والناس .. ولكننا أصبحنا الآن فى زمن

مادى يتحلل من شريعة الله ويعصى أوامر الله، ويجد الزكاة مغرما بعد أن كان أسلافنا الأولون يعدونها مغنما كبيرا لما فيها من كسب رضاء الله وثوابه ومضاعفة الأجر عليها، ولما فيها مع ذلك من حيازة رضاء الملائكة والناس ودعوات الفقير واليتيم والمسكين، ولما فيها من قضاء على الإجرام والنهب والسرقة والاعتداء على أموال الأغنياء.

ولقد نظر محمد صلوات الله عليه إلى مشكلة الفقر باهتمام شديد، وسعى بنجاح تام إلى القضاء على هذه المشكلة بعقل المشرع وحكمة المصلح وإلهام الرسول، مع صعوبة التغلب على الفقر فى بيئة كبيئة الصحراء، وفى مجتمع لا يعرف إلا العصبية والفروق الظالمة بين طبقات الأغنياء والفقراء.

كان الناس ينظرون إلى المال على أنه هو الوسيلة لحياة الرفاهية والترف، ولاستعباد الفقراء، وتسخير الضعفاء، فحارب محمد صلوات الله عليه هذه الفكرة الخاطئة وأعلن أن المال هو سبب لعمل الخير والبر والرحمة والمعروف ومواساة المنكوب وإغاثة الملهوف وإطعام الجائع وكسوة العارى وإسعاد الناس، وهو وديعة الله فى أيدى الأغنياء ومال الله استخلفهم عليه، وجعل من سنة الإنسان المهذب فى الحياة الإيثار لا الأثرة والإعطاء لا الأخذ، والقناعة والرضا والشكر لا الجشع والطمع والسخط والجحود.

وكان الأغنياء لا يعرفون فى المال حقوق الله والفقراء والمساكين فطالبهم محمد صلوات الله عليه بما طالبهم به القرآن الكريم فى قول الله تعالى: "فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون[1]" ونهاهم عن البخل والإمساك والشح والتقتير فقال صلوات الله عليه: "إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دمائهم واستحلوا محارمهم" وقال الله تعالى "ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون[2]" ومدح

---

[1] ٣٨ سورة الروم.

[2] من آية ٩ الحشر.

المؤمنين الذين "فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم". وفرض حق الضيف وابن السبيل وجعل صلوات الله عليه البر واجبا، والإحسان فريضة، والصدقة شريعة اجتماعية، والزكاة شرعا محتوما لمصلحة المجتمع كله. ونظم الوحدة الاجتماعية بين الناس وجعل أساسها الأسرة، وفرض على الرجل حقوقا يؤديها من ماله لأسرته وأقاربه وأهله، وطالبه بأن يرعى أبناءه حق الرعاية ويوفر لهم بعمله وجده وسائل الحياة الكريمة، وحث على القناعة والاقتصاد فقال صلوات الله عليه: "طوبى لمن قنع بالإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به". وقال: "ما عال من اقتصد".

شرع الله لنبيه الكريم شرائع الزكاة والصدقات، فدعا إليها الرسول صلوات الله عليه وحض عليها ونادى بها، وسن كذلك تشريعات العمل والإجارة والمزارعة والوصية والهبة والوقف والرهن والوديعة والقرض وعقود الشركات والمضاربة وسواها لكى تتداول الأيدى المال.

ويعمل فيه الفقراء والأغنياء قصدا للربح والكسب الحلال، ومن ثم حرم الإسلام ورسوله الكريم الربا والاحتكار والاستغلال وأكل أموال الناس بالباطل، وقرر محمد صلوات الله عليه كسب الأموال من طرقها المشروعة فقال: "من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار" - وعمل على حفظ كرامة الفقراء ففضل صدقة السر وحض على ترك المن والأذى، وكره السؤال من غير حاجة، وجعل اليد العليا خيرا من اليد السفلى. وحبس محمد صلوات الله عليه الأموال - التى تؤخذ من الفىء والخراج والجزية والغنائم والعشر والركاز وسواها على مصالح الفقراء والتمكين لهم فى الحياة والمعيشة، وحرر رقيق الأرض من العبودية، وطالب باحترام حقوق الرقيق الذى أسر فى حرب مشروعة، وبالعمل على تحريره، كما حرر العامل والخادم والمرأة من القيود والأغلال.

ودعا إلى توزيع الثروة توزيعا عادلا بإخائه بين الأنصار والمهاجرين وبما فرض من حقوق مشروعة للفقراء فى أموال الأغنياء، وبدعوته إلى العمل وحضه عليه، حتى يأخذ الفقير حقه الكامل فى الحياة مع مرور الأيام، وبتقسيمه العادل للميراث بين أولى الأرحام، وبغير ذلك من أسباب التمكين للفقير والمسكين

والمحروم. ونهى عن كنز المال دون أداء حقوقه، وكره الاستكثار منه والتكالب على جمعه، حتى قال رسول الله صلوات الله عليه لبلال: "ألق الله فقيرا ولا تلقه غنيا".

وحث على الجود والبذل والسخاء، وكان صلوات الله عليه كما وصفه علي: أجود الناس كفا. وكما وصف في حديث البخاري: "فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة". وتقول عائشة رضي الله عنها: "ما شبع رسول الله ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، ولو شئنا لشبعنا ولكننا كنا نؤثر على أنفسنا" ودعا الناس إلى التعاون على دفع الضر عن الفقراء فقال:

"أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى". ونهى عن المحاباة في كل شيء حتى في اختيار الموظف فقال صلوات الله عليه: "من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا بمحاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله النار". كما نهى عن الخيانة في الأموال العامة فقال: "من استعملناه على عمل ورزقناه فأخذ بعد ذلك فهو غلول". أي خيانة.

ولقد حبب محمد صلوات الله عليه الناس في الكسب الحلال المشروع، ودعاهم إلى استنباط المجهول من وسائل الثروات وقال لهم: "أنتم أعلم بشئون دنياكم". وجعل بيت المال في خدمة الناس والفقير من بينهم خاصة؛ ولم يكن لرسول الله بيت مال يضع فيه الأموال وإنما كان يضعها في بيته وبيوت أصحابه، وكان الزبير بن العوام وجهيم بن الصلت يكتبان له أموال الصدقات، ومعيقب ابن أبي فاطمة وكعب بن عمر يكتبان المغانم وكان حذيفة بن اليمان يكتب لرسول الله صلوات الله عليه خرص ثمر الحجاز. وكان يتخير ولاته وعماله ويقتصد في رزقهم، فاستعمل عتاب بن أسيد الأموي واليًا على مكة وجعل رزقه كل يوم درهمًا، وصالح صلوات الله عليه أهل فدك على نصف ثمارهم وصرفها على الفقراء. وكان بعمله الشريف ودعوته الكريمة يقوي بذور الرحمة والخير والتعاون والمودة والإخاء بين الناس، حتى يستطيع المسلمون التغلب على آثار الجدب الذي كان غالبًا على جزيرة العرب.

وقد دعا صلوات الله عليه اصطناع الأيادى عند الفقراء: "أكثروا من معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادى فإن لهم دولة. قالوا: يا رسول الله وما دولتهم؟ قال: إذا كان يوم القيامة قيل لهم: انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة" وجعل الرسول الأكرم فى كل معروف، وكل عمل، صدقة فقال:

"كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له به صدقة وما وفى الرجل به عرضه فهو له صدقة، والدال على الخير كفاعل الخير، والله يحب إغاثة اللهفان". ورفع الرسول صلوات الله عليه من منزلة الفقراء ولم يجعل المال أساسا للحكم على الأشخاص.

لقد استطاع رسول الله صلوات الله عليه أن يجعل الفقراء والأغنياء إخوانا متحابين متآخيين متعاونين، وأن يقيم فى المجتمع الإسلامى روحا عادلة تؤمن بالمبادئ الروحية والمثل العليا وتجعلها أساسا من أسس الاقتصاد التعاونى الجماعى فى الدول الإسلامية الناشئة، استطاع بما بذره من بذور الخير فى الأرض أن يقضى على الفرقة والخصومة والجريمة والثورة والاضطراب والقلق بين الطبقات. وكانت أمنية محمد الكبرى من أهدافها تحرير الإنسان من الفقر والعوز والحاجة والخوف، وكفالة حريته وحقه فى الحياة الهانئة الكريمة، وهدم كل الصروح التى أقيمت ظلما وبهتانا بأيدى الاقطاعية والاقطاعيين الجائرين.

١١- تحمل المسئولية

كان (ﷺ) المثل الأعلى فى تحمل المسئولية وفى النهوض بالواجب وفى أداء الأمانة ومع كل صاحب حق. وكان يرشد الناس إلى كل ذلك وإلى الصبر على المكاره، وإلى الشكر فى النعمة، وإلى الإحسان فى القول والفعل والعمل.

يقول أبو هريرة:

جاء رجل إلى النبى، فقال: أنى مجهود فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى. فقالت: مثل ذلك، قلن كلهن مثل ذلك، فقال النبى (ﷺ): من يضيف هذا الليلة؟ فقال: رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لأمرأته: أكرمى ضيف رسول الله[1] – متفق عليه.

ولما أراد أبو طلحة الأنصارى أن يتصدق ببستان له كان يعجبه قال: يا رسول الله هو فى سبيل الله وللفقراء والمساكين، فقال عليه السلام: وجب أجرك واقسمه فى أقاربك – رواه أبو داود فى باب الزكاة – صلة الرحم[2] فأرشده إلى ما يفعله تحميلا له للمسئولية وللالتفات إلى واجبه نحو أقاربه.

---

[1] ١٩٦ رياض الصالحين.

[2] ص٧٢ – ٨٠.

(١٢) الكمال المحمدى

كان الكمال المحمدى فى كل شىء وكل جانب موضع حرص المسلمين على تمثله والاقتداء بالرسول فيه، وهذا الكمال كان هو تربية روحية للمسلمين وأسوة حسنة لمن آمن بالله ورسوله.

كمال الحياء

وكمال الجود

وكمال الرحمة والإنسانية

وكمال الوفاء

وكمال الصبر

وكمال الزهد

وكمال العفو عمن أساء إليه

وكمال العدل

وكمال التواضع

والكمال فى الشرف والنزاهة والطهارة

والكمال فى الخشية من الله

والكمال فى الآداب والأخلاق والشيم

إلى كمال أحواله فى العبادة والطاعة

إن كمال فضله ثابت بالكتاب الحكيم، قال تعالى: "وإنك لعلى خلق عظيم"[1].

هذا إلى كمال حكمته صلوات الله عليه فى تصريف الأمور والحكم بين الناس بما أمر الله.

---

[1] آية ٤ القلم.

وإلى كمال شجاعته وقيادته وريادته.

وإلى كريم عشرته مع الأهل وذوى القربى ومع الناس كافة . وإلى جبره لخواطرهم.

وإلى توجيهه المسلمين إلى معالى الأمور وعظائمها.

وكل ذلك لو حاولنا الحديث عنه لما وسعنا المقام.

صلى الله عليه وسلم فى الأولين

وصلى الله عليه وسلم فى الآخرين

وصلى الله عليه وسلم إلى يوم الدين.

من مصادر هذا البحث

- القرآن الكريم.
- صحيح البخارى - ١٠ أجزاء - مطبعة السنوسى - القاهرة.
- فتح البارى فى شرح البخارى - دار الفكر - بيروت.
- صحيح مسلم بشرح الإمام النووى - دار الفكر - بيروت.
- سيرة ابن هشام - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة.
- المغنى لابن قدامة.
- تفسير الطبرى - دار المعارف - القاهرة.
- تفسير القرطبى - الريان - القاهرة.
- زاد المعاد لابن القيم - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة.
- نيل الأوطار للشوكانى - دار الجيل - بيروت.
- خلُق المسلم - محمد الغزالى — دار الكتب الإسلامية.
- فى ظلال الإسلام - محمد عبد المنعم خفاجى - دار العهد الجديد القاهرة.
- الإسلام دين الإنسانية الخالد - مطبعة منير - القاهرة - تأليف خفاجى.
- سيرة خاتم المرسلين - دار الجيل - بيروت.
- رياض الصالحين للإمام النووى.

إلى عشرات المصادر المذكورة فى هوامش هذا البحث.

الرسول القدوة

يقول الله عز وجل لنبيه الكريم (آية ٤ من سورة القلم): "وإنك لعلى خلق عظيم".

وما أعظم ذلك من شهادة عظيمة، من رب ذى العرش العظيم، لرسوله النبى العظيم.

وهل يمكن لأحد من البشر أن يطمح إلى الفوز بمثل هذه الشهادة العظمى، وأن يطوق جيده بمثل هذه القلادة الكبرى؟ اللهم لا ...

إنما هو رسولنا محمد ﷺ الذى نال وحده شرف هذا الثناء الكريم والمدح العظيم.

وفى حديث رسول الله عن عائشة - أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه، ولا أهل بيته، إلا قال: لبيك.

وعنها رضى الله عنها قالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن، يرضى برضاه ويسخط بسخطه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا.

وما أصدق ما قال رسول الله صلوات الله عليه: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

وقال رسول الله ﷺ: أدبنى ربى فأحسن تأديبى.

كان ﷺ سهل الخلق، لين الجانب، أوسع الناس صدرا، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة.

وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: "خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين" (الأعراف ١٩٩).

روى أن النبى ﷺ لما نزلت هذه الآية سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها، فقال: يا محمد، إن الله تعالى يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفوا عمن ظلمك.

ومعنى الآية : خذ اليسر من أخلاق الناس، وأمر بالمعروف، وأعرض عن الجاهلين، فلا تقابلهم بسفههم.

وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: ما خيّر رسول الله فى أمرين قط إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى، فينتقم لله بها.

وعن أنس قال: خدمت النبى ﷺ عشر سنين، فما قال لى أف قط، وما قال لشيء صنعته: لم صنعته؟ ولا لشيء تركته: لم تركته؟

ويقول الله عز وجل لنبيه الكريم: "ولا تستوى الحسنة ولا السيئة أدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم"،

وعن عطاء قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ، فقال: أجل، والله إنه لموصوف فى التوراه ببعض صفته فى القرآن، يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وأنت عبدى ورسولى، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب فى الأسواق، ولا يدفع بالسيئة لسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقول لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا.. وعن عائشة: لم يكن رسول فاحشا ولا متفحشا، ولا صخابا بالأسواق، ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح.

زين الله عز وجل رسوله — كما يقول الإمام جعفر الصادق — بزينة الرحمة، فكان كونه رحمة، وجميع شمائله وصفاته رحمة، يقول الله تعالى:"وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".

كان صلوات الله عليه أزهر اللون، مدور الوجه، واسع الجبين، عظيم المنكبين، رحب الكفين والقدمين، واسع الصدر، ضخم العظام، ربعة القد، ليس

بالطويل البائن، ولا القصير المتردد. وكان إذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق، وعن مثل حب الغمام، وكان وجهه مستديرا وكمثل الشمس والقمر، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول واصفه: "لم أر قبله ولا بعده مثله"، وعن بعض الصحابة: رأيت وجه رسول الله مثل القمر ليلة القدر.

وكان ﷺ قد رزق من العظمة والمكانة في القلوب ما رزق.

وفي حديث ابن مسعود أن رجلا قام بين يدي رسول ﷺ فأرْعِدَ، فقال: هون عليك فإني لست بملك.

وعن ابن سلام قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جئته لأنظر إليه، فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس لوجه كذاب، وعن عمرو بن العاص ما كنت أطيق أن أملا عيني من رسول الله ﷺ إجلالا له.

كان رسول الله ﷺ عظيم العناية بنظافة جسمه، وطيب ريحه، وبنزاهته عن الأقذار، خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره.

ذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله عنه، قال: لم يكن النبي ﷺ يمر في طريق فيتبعه أحد، إلا عرف أنه سلك هذا الطريق من طيبه.

وقال ﷺ: بني الدين على النظافة، وأثر عنه صلوات الله عليه: النظافة من الإيمان.

ولنا في ذلك أسوة حسنة برسول الله ﷺ، ولعل كل المسلمين يكونون أشد الناس عناية بنظافة أجسامهم وثيابهم، بل بنظافة قلوبهم من الأخلاق الفاسدة، والصفات الذميمة، والله عز وجل يقول في كتابه الحكيم:"لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا" (٢١ سورة الأحزاب). والأسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول أو فعل.

وما أكثر الواشين والنمامين في مجتمعاتنا وبخاصة ممن يحيطون بالرؤساء، وقد حسم رسول الله ﷺ هذه المشكلة فقال لأصحابه: لا يبلغني أحد منكم عن أحد

من أصحابى شيئا، فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر.. ولو فعل الرؤساء هذا لأراحوا أنفسهم كثيرا من وشايات النمامين والوشاة.

وكان رسول الله ﷺ: يلزم نفسه العدل فى كل شىء ممتثلا قول الله عز وجل: إن الله يأمر بالعدل والإحسان.

وقال لرجل من أصحابه: ويحك فمن يعدل إن لم أعدل، خبت وخسرت إن لم أعدل.

وعن الحسن قال: كان رسول الله ﷺ لا يأخذ أحدا بذنب أحد، ولا يصدق أحد على أحد، وكان يقول: أبلغونى حاجة من لا يستطيع إبلاغى فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الأكبر.

وكان رسول الله ﷺ: أعدل الناس وأعف الناس.

وجاءه جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاختار اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، والفطرة هى جوهر الإسلام وحقيقته.

وكان رسول الله ﷺ أعقل الناس، وأرجحهم ذهنا، وأفضلهم رأيا.

عاش حياته قانعا بالقليل عن الكثير، وتقول عائشة: لم يمتلئ جوف رسول الله ﷺ شبعا قط، ومات ودرعه مرهونة فى نفقة عياله، وكان يقول: حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، وإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه.

وفى حكمة لقمان: إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة.

وكان أجود الناس بالخير، وأحسن الناس وأشجع الناس، ويقول ابن عباس: كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون فى رمضان، وكان إذا لقيه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة.

وعن أنس أن رجلا سأله، فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى بلده، وقال: أسلموا فإن محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة أبدا.

وخلال رسول الله من الحلم والجود، والشجاعة والمروءة، والشفقة والرحمة وحسن الخلق وحسن العشرة، ومن العدل والعفو، ومن الزهد والوقار، في المنزلة الاسمى، والمكانة العظمى.

ﷺ في الأولين، وﷺ في الآخرين، وﷺ إلى يوم الدين.

وعن فضالة بن عمرو قال: أردت قتل رسول الله ﷺ عام الفتح وهو يطوف بالبيت، فلما دنوت منه قال: أفضالة؟

قلت: نعم!

قال: ما كنت تحدث به نفسك؟

قلت: لا شيء.

فضحك رسول الله صلوات الله عليه، واستغفر لي، ووضع يده على صدري، فسكن قلبي، فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه.

هذه المثل الرفيعة من الأخلاق والآداب والسلوك .. هي التي جعلت للإسلام دولة، وبنت له صروحا، ورفعت له منارات، وأضاءت به المشارق والمغارب، وصدق اله العظيم فيما يقول: " فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم، واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين".(١٥٩ آل عمران).

ولن تستقيم بحال أمورنا إلا إذا اقتدينا حقا برسولنا، واتخذناه الأسوة والقدوة الحسنة، في كل جوانب سلوكنا وآدابنا وحياتنا.

أوصى رسول الله ﷺ باليتيم والمسكين، كما أوصى بالجار، حتى لقد قال صلوات الله عليه:

"مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه".

وأوصى بالأمانة، وكان صلوات الله عليه يلقب بالأمين، واختارته قريش حكما بينهم حين اختلفوا حول الحجر الأسود، وقالوا هذا محمد الأمين، قد رضينا به، وقال ﷺ: والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض.

وفى كل مجال وكل ميدان كان له القدح المعلى فى جلال الخلـق، وسمـو الشمائل وعظمة الآداب والسلوك.

ونحن المسلمين علينا اتباعه والاقتداء به، واتخاذه المثل الأعلى لنا فى كل جانب من جوانب حياتنا.

ويقول رسول الله ﷺ: من اقتدى بى فهو منى، ومن رغب عن سنتى فليس منى.

وعن سهل التسترى الصوفى: أصول مذهبنا ثلاثة: الاقتـداء بـالنبى فـى الأخلاق والأفعال، وإخلاص النية فى جميع الأعمال، والأكـل مـن الحلال فـى كـل الأحوال.

والاقتداء برسول الله هو كمال الإيمـان، وهـو تمـام الإسلام، وفقنا الله إلى صالح القول والعمل.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الإسلام والطفولة

-١-

لم يُعن دين بالطفولة عناية الإسلام بها، ولم تحرص شريعة على الاهتمام بالطفل حرص الشريعة الإسلامية على ذلك الغرض النبيل.

فللطفولة منزلتها فى المجتمع، وأهميتها فى حياة الأمة، ودورها فى مستقبل الشعوب، فطفل اليوم هو شاب الغد، ورجل ما بعد الغد، وهو الذى سوف يحمل مسئوليات الوطن وهو يحمل فوق كاهله تجارب الأيام.

الطفل أمانة فى يدى أبويه. والعناية به فوق أنها التزام قومى ووطنى وإنسانى هى واجب دينى كذلك، من أجل استمرار مسيرة الحياة والحضارة والبناء على وجه الأرض.

وتبدأ العناية بالطفولة فى الإسلام من مرحلة اختيار الزوجة، وفى الحديث الشريف " تنكح المرأة لجمالها ومالها وحسبها ولدينها فأظفر بذات الدين".

ويلى ذلك مرحلة توفير الاستقرار والهدوء للأسرة، وحرص كل من الزوجين على أداء واجبه نحو الأسرة والأطفال بخاصة، وعلى العمل والإنتاج من أجل رفع مستوى الأسرة، وعلى تجنب كل ما يضر بهما وبصحتهما وبعملهما.. ثم على الأبوين اختيار أحسن الأسماء لطفله بعد ولادته.

وحينئذ تبدأ مرحلة رعاية الطفل منذ ولادته، يوما بعد يوم، وعاما إثر عام. وهذه الرعاية عامة شاملة، تشمل رعايته فى الغذاء وفى الملبس وفى الحضانة وفى البيت وفى التربية وفى المدرسة وفى الوسائل المعيشية والثقافية، بل وفى سلوك الأبوين نفسيهما ليكونا قدوة صالحة للطفل، يأخذ عنهما ويصدر عما يشعر ويحس به ويشاهده من سلوكهما، فسلوك الأبوين الحميد وأخلاقياتهما الحسنة هما المنجم الذى يستمد منه الطفل أخلاقه وعاداته وسلوكه.

وللطفولة منزلتها الكبيرة فى الإسلام، فلا تكلفه بما لا يطيق، ولا نهينه ولا نضربه ولا نشتمه، بل توجهه ونؤدبه ونربيه ونحسن معاملته. ولقد صدق الشاعر العربى حين يقول:

وإنما أولادنا بيننا

أكبادنا تمشى على الأرض

-٢-

إن الإسلام يأمرنا بالعطف على الصغير، والحنان عليه، والرحمة به، ومعاملته بالحسنى.

ووصية الإسلام بالطفل اليتيم وصية قوية، وقد أوجب الأمانة فى التصرف فى مال الطفل اليتيم، ومراقبة الله عز وجل فى كل شىء يتصل باليتيم.

ونهى الإسلام عن إيثار بعض الأبناء دون بعض، وقصة يوسف مع أخوته معروفة.

ويجب أن يوجه الطفل إلى العلم والمدرسة فالمرء اليوم ليس بجاه أبويه ومالهما ولكن بثقافته وعمله وأخلاقه.

وقد حرم الإسلام الخمر والميسر والقمار وأحرم أنا الدخان على الطفل لما يسببه له من أمراض ومن انحرافات خطيرة، ومن عادات سيئة.

ويجب أن يعود الطفل على العمل فى أى مجال أو أية حرفة ليضمن مستقبله وحياته فى سنوات عمره المديدة، فالعمل هو القيمة الثابتة فى مجتمعنا اليوم، بل هو روح الحياة، وجوهر الدين، وصانع الحضارة فى الأرض.

يجب على الأبوين نحو طفلهما أن يعوداه على التدريج وحسب طاقته على تحمل المسئولية، وأداء الواجب والقيام بفرائض الدين والتزام آدابه، وعلى الأبوين أن يضيئا الأنوار من حولهما لأطفالهما حتى يعرفوا طريق النجاح وسبيل الفوز فى معركة الحياة الطاحنة، فذلك هو الوسيلة لبلوغ طفل اليوم مسالك الخير والنجاح فى مستقبل حياته، والله الهادى إلى سواء السبيل.

الأسرة ومكانتها فى الإسلام

(١)

أكتب عن "الأسرة ومكانتها فى الإسلام" لما نراه اليوم من مشاهد مؤلمة، وما نقرؤه من مآس مفزعة فى علاقات أفراد الأسرة بعضهم ببعض: الأب يقتل ابنه، والأم تقضى على حياة ابنها أو بنتها، والزوجة تدس السم لزوجها فى الطعام، والابن يفتك بأبيه أو بأمه، وغير ذلك من عجائب هذه الأيام.

وتقوم دعوات كريمة تدعو إلى ثقافة دينيه للشباب وإلى أن يجلس الأب وتجلس الأم إلى الأبناء وحتى لا يشعروا بفراغ فى حياتهم يقودهم إلى الانحراف، ومن قبل قال أبو العتاهية الشاعر العباسى الزاهد:

إن الشباب والفراغ والجدة   مفسدة للمرء أى مفسده

ونحن فى حاجة ماسة وشديدة إلى أن نولى الأسرة مزيداً من عنايتها حتى لا نفاجأ بأشياء وانحرافات أخرى ليست فى الحسبان.

الأسرة هى الخلية الأولى فى جسم الأمة، وتتكون من الأبوين والأبناء ومن يليهم من الجد والأخوة والأخوات والعم والخال ومن إليهم من أولى الأرحام. الأسرة نسيج واحد من الآباء والأبناء والأقارب من أولى الأرحام.

والأسرة مقدسة فى كل الشرائع والديانات والأعراف الاجتماعية، فقد خلق الله الناس من نفس واحدة، وخلق منها زوجها ليسكن إليها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء..

ولقد أكدت شرائع السماء مكان' الأسرة، النواة القوية فى جسم المجتمع، ومن الزوجين، الذكر والأنثى، تعاقب النسل، وتوالت الذرية، واستمرت الحياة وسارت فى طريقها المرسوم.

الأبوان يربطهما بعضهما ببعض عقد زواج مقدس شرعى، ينعقد بالإيجاب والقبول، متى كانت الزوجة بالغة عاقلة (أبو حنيفة)، وعند أبى يوسف ومحمد لا ينعقد زواج المرأة إلا بولى، ولا يجوز إجبار الفتاة على الزواج.

إن الزواج ليس عقد تمليك كعقد البيع، وليس استرقاقا وأسرا، وإنما هو ميثاق إنسانى متين وعلاقة محبة وتعاون، ورابطة شرعية مكرمة، قال تعالى "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون" ٢١ الروم - وقال تعالى: "هن لباس لكم وأنتم لباس لهن" ١٨٧البقرة ويقول ابن عباس: (أى هن سكن لكم وأنتم سكن لهن)، ويقول الزمخشرى: (أى ملابسة ومخالطة)..

ومن حديث ابن عباس: (جاءت فتاة إلى الرسول فقالت: يا نبى الله، إن أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع بى حسيسته، فجعل الرسول أمرها إليها، فقالت : قد أجزت ما صنع أبى، لكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شىء. وفى الصحيحين أن خنساء بنت جزام زوجها أبوها وهى كارهة وكانت ثيبا، فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها وعن رسول الله، الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن فى نفسها، قال ابن القيم: البالغة العاقلة الرشيدة لا يتصرف أبوها فى أقل شىء من ملكها إلا برضاها، ويقول الشيخ شلتوت: القرآن الكريم يضيف التصرف فى عقد الزواج إلى المرأة نفسها "فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف"(٢٣٤البقرة) فزواج المرأة مضاف إليها، صادر عنها من غير أن يتوقف على مباشرة وليها.

ويقول رسول الله ﷺ:" تنكح المرأة لأربع:لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين" فالأسرة المسلمة تقوم على الدين.

ورجوع الخاطب عن خطبته والمخطوبة عن خطيبها جائز عند الفقهاء ولو بعد دفع المهر كلا أو بعضا أو تقديم الهدايا وقبولها، ويرون استرداد ما دفع من المهر وما بقى من الهدايا، وفرق بعضهم فى الهدية بين ما إذا كان فسخ الخطبة م جهة الخاطب فلا يسترد شيئا من الهبة، وما إذا كان الفسخ من جهة المخطوبة فيسترد.

ويرى الشيخ محمـود شلتوت ضرورة التعويض للفتاة المخطوبة إذا فسخ الخاطب الخطبة بما يغرس فـي نفـوس الخـاطبين احـترام عـهود الخطبـة، ويحفـظ علـى المخطوبات كرامتهن، كما أن للمطلقة التعويض عن الطلاق.

وفـي الأسـرة يجـب أن يعاشـر الـزوج الزوجـة بمعـروف.. قـال تعـالى: "وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا" - ١٩النساء.

ومن واجب الزوجة: الأمانة والالتزام بالمسئولية والحفاظ علـى العـرض والمال.

ويقول الله عز وجل:"ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف" ٢٢٨ البقـرة — ويقول الإمام محمد عبده: هذه الدرجة التى رفع الله النساء إليها لم يرفعهن ديـن سابق، بل لم تصل إليها أمة قبل الإسلام ولا بعده، ولا تـزال قوانين بعض الأمم فـى أوربا تمنع المرأة من حق التصرف فى مالها بدون إذن زوجها.وحقوق أخرى منحتها إياها الشريعة الإسلامية وقـد كـان النسـاء فـى أوربـا منـذ فـترة بمنزلـة الأرقـاء فـى كـل شيء كما كن فى عهد الجاهلية عند العرب أو أسوأ حالا . . . ولفظ المعروف هنا فى الآية الكريمة معناه — كما يرى الشيخ شلتوت العرف والتشريع الإسلامى كثيرا ما يرجع إلى تحكيم العرف، فـإذا فسد العرف بين الناس فذلك عرف منكر لا يقام لـه وزن، ولا يلتفت إليه. قال على بن الحنفية: المرأة تتصرف فى خالص حقها وهى مـن أهل التصرف لكونها عاقلة مميزة.

وتعدد الزوجات ضرورة، وهو مفيد بحالات مخصوصة، وشرط التعدد التسـوية بين الزوجات وعدم الخوف من إهمال واحدة منهن.. أما الطـلاق فـهو ضـرورة إنسانية، وللمطلقة حق التعويض عن الطلاق.

(٢)

ذلك كله بيان لحقوق الزوجة فى الإسلام.

ونحن نعلم أن الإسلام قد خلق من المرأة خلقا آخر غير الذى كان من قبل ونفخ فيها من روح العزة والإباء، وجعلها تشعر بكيانها وشخصيتها، وتدرك أن لها وضعا متساويا، وأن لها حقوقا يلتزم بها المجتمع ورب الأسرة، وأنها كما تسعى إلى كسب الحقوق تعمل كذلك على تحمل التبعات والمسئوليات.

فحينما شعرت النساء المسلمات بأن الرجال قد غلبوهن على المعرفة ومجالس العلم والتعلم، لم يطقن صبرا على تحمل هذا الحرمان، ولم يرضين بهذه الغلبة، فذهبت إحداهن إلى رسول الله ﷺ وقالت له: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله، فاستجاب رسول الله لها وقال لهما: اجتمعن يو كذا فى موضع كذا. فكن يجتمعن لذلك ويأتيهم رسول الله، فيعلمهن ما علمه الله.

ولما فرض الجهاد على الرجال دفاعا عن الدين وعن الوطن، قالت النساء، لقد فاتنا واجب الجهاد وأجره، ولو كتب علينا القتال لقاتلنا، وذهبت وافدة النساء إلى رسول الله ﷺ تقول له: إنى وافدة النساء إليك، وما منهم امرأة علمت أو لم تعلم إلا وهى تهوى مخرجى إليك، إن الله رب الرجال والنساء وإلههن، وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء، كتب الله الجهاد على الرجال، فإن أصابوا أثروا، وإن استشهدوا فازوا وكانوا أحياء عند ربهم يرزقون، فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة؟ فأرشدها، عليه الصلاة والسلام إلى أن أعمال المرأة كزوجة وكأم، تعدل فى الطاعة أعمال الرجال المجاهدين فى سبيل الله.

هذا قليل من كثير، مما أعطاه الإسلام للمرأة. وهذا الحوار بين النساء ورسول الله ﷺ لا يمكن أن يكون إلا لامرأة تعيش فى ظل تشريع ملأ نفس المرأة عزة وكرامة، وبنى لها شخصيتها الكاملة، وفهمت من روح أحكامه المعنى الصحيح للمساواة بين المرأة والرجل.

(٣)

على أنه لا تعرف مكانة المرأة فى الإسلام كفتاة وزوجة وربة أسرة على حقيقتها إلا إذا عرفنا وضعها فى الحضارات المختلفة والتشريعات السابقة والمعاصرة.

كانت المرأى عند الفرس والاغريق متاعا للبيع والشراء، ولا أهلية لها للتصرف، والرجل هو صاحب التصرف فى كل ما يخصها.

وفى الهند كان حقها فى الحياة ينتهى بوفاة الزوج، فإذا مات تحرق هى مع جثته، وإلا عاشت منبوذة ملعونة طول حياتها.

وفى ظل الرهبنة كانت المرأة تصور على أنها منبع المعصية والرذيلة، وجمالها سلاح إبليس الذى لا يوازيه سلاح.

وفى القانون الرومانى كانت المرأة قاصر لا تستقل بحقوق منفصلة عن زوجها، ولا تتصرف فى مالها إلا بإذنه.

وفى الجاهلية العربية كان وأد البنات شريعة وكان الابن يرث زوجة أبيه بعد وفاته، كما يرث حقها ويتحكم فى تصرفاتها، وفى حياتها.

وفى أوربا قبل العصر الحديث عدت المرأة مصدرا للشرور والآثام، وحليفة للشيطان، وليس لها حق التصرف فى مالها، وكان الفلاسفة ورجال الكنيسة يتحاورون فى كون المرأة شيئا أو شخصا، وهل لها روح إنسانية كالرجل، وهل تستحق مثله الحياة الأخرى؟ وخلصوا من ذلك إلى أن المرأة خلقت لخدمة الرجل.

أما أوربا الحديثة فقد أفرطت فى منح المرأة الحرية المتاحة، دون مراعاة لالتزام، فلها أن تصادق من تشاء، وأن تخرج من البيت كما تريد، وأن تراقص من الرجال ما تحب، وهى حرة فى الحياة مع رجل دون زواج، وهى حرة فى ارتياد الملاهى والمراقص كما تهوى، وفى مصادقة الرجل الأجنبى عنها ومخاللته كما تريد، وهى حرة فى أن تقف عارية فى واجهة المحلات ليستمتع الرجل بالنظر إلى جسمها.. وحدث عن الخيانات الزوجية ولا عجب، وعن زواج المرأة بالمرأة ولا استغراب.

حرية ولا مسئولية، وطيش ونزق وسفه ولا التزام.

المرأة فى أوربا — باسم الحرية — صارت بمنزلة الرقيق الذى يباع ويشترى بالمال.

العفة والشرف والطهارة والعرض والآداب المحفوظة انتهت وانقرضت هناك فى أوربا وأمريكا ومن سار على دربهما. والباحث عن الفضيلة وسط هذه الموجات من مذاهب العرى والشذوذ والرذيلة، والفساد كالباحث عن الأوهام والأساطير.. ويريدوننا على أن تسير فى دربهم، ونسلك سبيلهم، ويأبى الله ما يريدون.

أين هذا من عظمة الإسلام وتشريعاته المثلى للمرأة؟

بل أين هذا من قيم الأسرة فى حضارة مصر القديمة التى جعلت من أوزيريس وإيزيس ملحمة وفاء زوجية نبيلة، بل وفى حضارة الفرس القديمة التى صورتها ملحمة جلجامين فى صورة تكريم وإعزاز للروابط الأسرية النبيلة.

لقد صنع الإسلام للمرأة عرشا عاليا وبنى لها صرحا شامخا من الحب والحنان والالتفاف بالزوج والأبناء مصدر سعادة وفرح عميق.

النهج الإسلامي في تربية الأبناء

عني الإسلام أشد العناية بالأبناء وتربيتهم، وتنشئتهم النشأة الإسلامية الصحيحة، منذ الطفولة وما بعدها.

والابن في طفولته .. هو وديعة الله لدى الآباء، إنه الثمرة الطيبة لالتقاء الزوجين، وهو البراءة والوداعة والجمال والعطر والسحر في الأسرة.

والابن واجب الأسرة في تربيته خطير وكبير الأهمية، فمن الأبناء تتكون أجنحة الأسرة وفروعها، ومن الأسرة يبدأ النمو في المجتمع، فالأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى في الأمة وهي النواة الصغيرة، التي يتألف منها المجتمع الكبير.

وتبدأ تربية الطفل في الأسرة المسلمة بالقدوة الصالحة بالمثل الكامل، الذي يجده الطفل أمامه ممثلا في الأبوين فعلى الآباء والأمهات أن يكونوا المثل الصالح، والأسوة الحسنة، والقدوة الطيبة، لأبنائهم ليقتدي بهم الأبناء وليحتذوهم وينهجوا نهجهم، ويقلدوهم في سلوكهم وأعمالهم فالابن الصغير يبدأ بالعمل بما توحي إليه به شخصية الأبوين من فضائل وأخلاق وسلوك وطاعات وعبادات. إذا وجد الطفل أبويه يؤديان الصلاة وقف بجوارهما أو منفردا لأدائها، مقلدا لهما في ذلك، مصليا مثلما يصليان، ويواظب عليها .. مثلما . . .

وإذا وجد الابن أبويه يصومان صام مثلهما.

وكذلك إذا وجدهما يحافظان على الصدق تحرى الصدق مثلهما في كلامه وكره الكذب، وابتعد عنه، وفي الحديث المأثور عن النبي ﷺ أنه قال: تحروا الصدق وإن رأيتم أن فيه الهلكة فإن فيه النجاة، وتجنبوا الكذب وأن رأيتم أن فيه النجاة فإن فيه الهلاك، وقال عمر بن الخطاب لأن يضعني الصدق، وقلما يضع، أحب إلي من أن يرفعني الكذب، وقلما يفعل.

وهكذا يلتزم الطفل بكل ما يلتزم به أبوته من قيم وفضائل وآداب.. فعلى الأبوين أن يكونا مثالا طيبا لأبنائهما في كل ما يفعلان أو يتركان.

ويأتي بعد القدوة الطيبة الإرشاد والتوجيه للأبناء، فعلى الأبوين دائما أن يرشدا أبنهما إلى طريق الخير، وإلى حب الناس، والبعد عن أذاهم، وإلى الكراهية لكل عمل مذموم. وعليهما أن يوجهاه أبدا إلى حب الله وحب رسوله وحب الوطن، فحب الوطن من الإيمان، وهو أولى بالمشاركة فى بنائه وتنميته وفى نهضته وازدهاره ورفاهيته.

ثم إذا بلغ الطفل سبع سنين حببه أبواه فى أداء الصلاة، وفى المحافظة عليها، فهى نظافة وطهارة، وهى خير ونور، وصلة للابن بالله مولاه رب العالمين فإذا بلغ عشر سنين ألزماه بها لأنها ركن من أركان الإسلام فى الحديث الشريف: بنى الإسلام على خمس، شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، من استطاع إليه سبيلا.

وفى مرحلة التعليم والتثقيف: على الأبوين أن يربيا ابنهما على الأخلاق الكريمة، والآداب الإسلامية الفاضلة من صدق وأمانة ووفاء بالوعد، والتزام للعهد، ومن فعل للمعروف، وإغاثة للملهوف، ومساعدة للمحتاج وعطف على اليتيم، وحنان على الصغير، وتوقير الكبير، واحترام الناس ومعاملتهم بالحسنى.. وعليهما أن يعلماه فرائض الدين وآدابه وسلوكه وأخلاقه، وأن يلزماه بحفظ ما يمكنه حفظه من كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ.. ومناهج التعليم والقدوة الطيبة التى يمثلها المدرس، لهما أثر كبير فى نفوس الأبناء.

وبعد ذلك يجيء دور المجتمع فى تربية الأبناء، فعلى المجتمع أن يكون بارا بهم، عطوفا عليهم، وفيا لهم، مرشدا وموجها لهم إلى آداب الدين وفضائله.

والثقافة الدينية لها دورها الكبير فى تنشئة الأبناء على السلوك الحميد والخلق الطاهر، والأفعال الطيبة، فمن الواجب أن تقدم لهم المفاهيم الصحيحة السليمة للدين، وكل الحقائق الواضحة عن شرائعه وفروضه وأركانه وآدابه ونظرياته.

والكتاب له شأن كبير فى تربية الأبناء، فعلينا أن نقدم لهم الكتب النافعة المفيدة والموجهة التى تزيد الدين إشراقا ووضوحا فى أنفسهم.

وكذلك للمدرسة والجامعة ولوسائل الإعلام المختلفة، من صحافة وإذاعة وغيرها، آثار كبيرة تظهر فى سلوك الأبناء وأعمالهم.

فإذا ما كبر الابن وسار شابا، صار موضع عناية الإسلام وعناية المجتمع معا فالشباب عنصر فعال فى حياة الأمم والشعوب على طول الأجيال والعصور. إنهم طليعة الحاضر، وقادة المستقبل، والإسلام ينظر إلى الشباب من خلال المجتمع كله نظرة رعاية وعطف وتوجيه، فهو يدعو إلى معاملتهم بالحنان والرفق وحسن التربية والتقويم، وإلى تعويدهم على تحمل المسئولية، والاضطلاع بالواجب، وأداء الحقوق، والالتزام بالقيم والمبادىء والمثل الشريفة. وفى المنزل والمسجد والمدرسة والجامعة وكل جانب من جوانب الحياة يجد الشاب مختلف ألوان الرعاية والاهتمام والأسوة الحسنة والمجتمع يبسط للشباب حبال الأمل والعمل والرأى، ليعودهم على النهوض بالأمة، والتحمل للتبعة، والقيام بالمسئولية بل وبالامتحان لمعرفة مدى قدرتهم على الطرق فى المشكلات، وقد قالت حكماء العرب: عليكم بمشاورة الشباب، فإنهم ينتجون رأيا لم ينله طول القدم ولا استولت عليه شيخوخة الهرم، وقال الإمام الزهرى: كان مجلس عمر بن الخطاب غاصا بالعلماء والقراء كهولا كانوا أو شبابا، وربما استشارهم، وكان يقول: لا يمنع أحدكم حداثة سنة أن يشير برأيه، فإن الرأى ليس على حداثة السن ولا على قدمه، ولكنه أمر يضعه الله حيث يشاء. وفى الأحداث الكبرى كان عمر يجمع الشيوخ فيستشيرهم، ثم يجمع الشباب ويعرض عليهم المشكلة، ويستمع لآرائهم. وكان عمر بن الخطاب يسير ذات يوم فى أحد شوارع المدينة المنورة فمر بصبيان يلعبون، وفيهم عبد الله ابن الزبير، فهرب الصبيان منه إلا عبد الله، فقال له عمر: مالك؟ لم تهرب مع أصحابك؟

فقال : يا أمير المؤمنين: لم أكن على ريبة فأخافك، ولم يكن الطريق ضيقا فأوسع لك. وروى الأصمعى قال:

قلت لشاب من أولاد العرب كان يحادثنى، فأمتعنى بفصاحة لسانه، ووقور عقله: أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق؟ قال: لا والله، فقلت: ولم؟ قال: أخاف أن يجنى على حمقى جناية تذهب بمالى ويبقى على حمقى.

وبمثل هذا التوجيه الإسلامى الكريم للشباب، وإلقاء المسئولية عليهم فى المحافظة على الوطن، والذياد عن الشعب، والعمل من أجل رفاهية الأمة.. ظهر فى الإسلام الكثير من القادة والأبطال والعلماء والمفكرين. وهذا أسامة بن زيد الصحابى الشاب يوليه رسول الله إمرة الجيش الذى وجهه إلى الشام وقبل خروج أسامة من المدينة مات الرسول الأعظم، وتولى خلافة المسلمين أبو بكر الصديق ﷺ، وبادر الخليفة بإنفاذ الجيش، وخرج بنفسه يشيع أسامة وجنده، وأبو بكر يمشى على قدميه وأسامة القائد الشاب راكب على فرسه، ويقول أسامة: يا خليفة رسول الله: والله لتركبن أو لأنزلن، فيقول الخليفة: والله لا تنزل، و والله لا أركب، وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة.

وفى جيش أسامة عمر بن الخطاب، وأبو بكر محتاج إلى عمر ليعاونه فى أعباء الدولة، فيستأذن الخليفة أبو بكر القائد أسامة، قائلا له: إن رأيت أن تعيننى بعمر فافعل، فأذن له أسامة، فعاد عمر إلى المدينة بإذن أسامة، ثم قال الخليفة لأسامة اصنع ما أمرك رسول الله ﷺ ولا تقصر فى شىء من أمر رسول الله.

هذا هو الإسلام، وهذا هو منهجه فى تربية الشباب.

الأستاذ (المعلم)

فى التربية الإسلامية

الأستاذ عنصر كبير من عناصر تربية الجيل الجديد فى أى عصر وأية بيئة، وأية أمة، وقد عنى الإسلام عناية خاصة بالأستاذ ووظيفته وواجبه فى التربية الإسلامية..

والأستاذ مسئول عن الجيل الجديد الذى يتصدر لتربيته وتوجيهه وتعليمه وتهذيبه مسئولية دينية وخلقية وإنسانية كبيرة، فهو مسئول عن ثقافة هذا الشباب النضر الذى يعلمه، وهو مسئول عن تهذيب أخلاقه وسلوكه، وهو مسئول عن غرس كل الفضائل النفسية والخلقية والإنسانية فى نفسه ... ومن أجل ذلك كان الواجب عليه نحو تلاميذه كبيرا وعظيما..

فهو القدوة لهم، وهو النموذج الأمثل أمامهم، وهو الأمل الذى يشرق فى نفوسهم، والنور الذى يضىء طريقهم.. ومن ثم كان هذا المقال الذى نقدمه اليوم إلى القراء:

تقوم التربية فى الإسلام على أربع دعائم:

١. الأستاذ.

٢. الطالب.

٣. الكتاب.

٤. البيئة.

والأستاذ هو أهم دعامة من دعائم العملية التعليمية، وعليه يتوقف نجاح الطالب أو فشله فى حياته العملية.

ولقد عنى فلاسفة الإسلام بالكتابة عن العالم والمتعلم، أو المعلم والتلميذ، وما لهما من حقوق، وما عليهما من واجبات، وكتبوا كثيرا عن الصفات التى يجب أن

يتحلى بها كل منهما، كتب النمرى القرطبى فى كتابه: (جامع بيان العلم وفضله) عن (آداب العالم والمتعلم)، وكذلك فعل الغزالى فى كتابيه: (فاتحة العلوم) و(إحياء علوم الدين). وقد خص المعلم بالتقدير والتبجيل، وجعله فى منزلة تلى منزلة الأنبياء، قال الرسول الكريم: "إن مداد العلماء لخير من دماء الشهداء" فالعالم العامل خير من المتعبد الذى يصوم النهار، ويقضى الليل فى التعبد والصلاة، وقد وصف الغزالى منزلة العلم والعمل فى قوله: "فمن علم وعمل بما علم فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السماء، يصبح كالشمس تضىء لغيرها وهى مضيئة فى نفسها، وكالمسك الذى يطيب عبيره وهو طيب. ومن اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما، وخطرا جسيما، فليحفظ آدابه ووظائفه"[1].

وهذا أمير الشعراء أحمد شوقى يشيد بفضل المعلم فيقول:

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

فهو الأب الروحى للمتعلم، وهو الذى يقوم بتغذية النفس بالعلم، وتهذيب الأخلاق وتقويمها، فتبجيله تبجيل لابنائنا، وتقديره تقدير لهم، به يحيون، وبه ينهضون إذا أدى رسالته خير أداء، وقد وصف أبو الدرداء المعلم والمتعلم بأنهما زميلان فى الخير، ولا خير فيما عداهما.

وفى العصور الوسطى كان الأستاذ فى معاهد الغرب يعامل بكل قسوة وشدة، فكان يحلف لعميد الكلية بأداء فروض الطاعة له، وتنفيذ النظام الذى تفرضه الجامعة عليه.. ويعد غائبا، ويعرض لغرامة محددة إذا لم يحضر محاضرته خمسة من الطلاب على الأقل، وكان الطالب يكلف التبليغ عن أستاذه إذا غاب عن درسه بغير إذن، فى حين أن الأستاذ فى المعاهد الإسلامية كان يتمتع فى ذلك الوقت بكل رعاية وتقدير، ويعامل بكل إجلال واحترام، وكانت له مكانة سامية، وحرية مطلقة فى التدريس، واختيار المادة، والوقت الذى يدرس فيه، والعدد الذى يؤديه من المحاضرات..

---

(١)إحياء علوم الدين للغزالى جـ١ ص ٥٢.

وقد فصل علماء التربية الإسلاميون الخلال والصفات التى يجب أن تتوافر في المعلم ومنها:

١. الإخلاص في العمل:

إن إخلاص المدرس في عمله أكبر وسيلة لنجاحه في مهنته. ونجاح تلاميذه، الإخلاص أن يعمل بما يقول، وتتفق أعماله مع أقواله، ولا يخجل من قول (لا أدرى) إذا كان لا يدرى فالعالم هو الذى يشعر على الدوام بحاجته إلى الاستزادة من العلم. ويضع نفسه موضع تلاميذه في البحث عن الحقيقة، ويخلص لهم، ويحافظ على أوقاتهم، ولا مانع يمنع التعلم منهم، لأنه يتحلى بالتواضع في التربية الإسلامية، ويكون حكيما حازما فيما يقول وما يفعل، يلين في غير ضعف، ويشتد في غير عنف.

٢. الوقار والهيبة :

ومن أجل أن يكون العالم كاملا يجب أن يتصف بالهيبة والوقار، ويكون ذا كرامة، يربأ بنفسه عن الدنيا، ويستنكف من القبيح، ولا يصخب، ولا يلغو، حتى يكون مرفوع الرأس، موضع التبجيل والاحترام.

٣. الحلم والأناة :

ويجب على الأستاذ أن يكون حليما مع تلاميذه، يستطيع أن يضبط نفسه، ويكظم غيظه، ويكون رحب الصدر، كثير الصبر، لا يغضب لأتفه الأسباب، يربيهم بالحلم، ويفيدهم بالأناة.

٤. الزهد والتعليم ابتغاء مرضاة الله:

كان للمعلم منزلة سامية مقدسة، وعليه واجبات تلائم مكانته، فقد كان زاهدا كل الزهد، يقوم بالتعليم ابتغاء مرضاة الله لا ينظر أجرا أو راتبا أو مكافأة مالية، ولا يريد من مهنة التعليم سوى إرضاء الله، ونشر العلم والتعليم، كان الأستاذة يستعينون على المعيشة والحياة بنسخ الكتب وبيعها لمن يريدها، ويكسبون عيشهم بهذه الوسيلة، وقد استمر علماء المسلمين عدة قرون وهم لا يقبلون أى أجر على تدريسهم، ولكن بمضى الزمن أنشئت المدارس، وحددت المرتبات للمعلمين،

فعارض هذا النظام كثير من العلماء، ونقدوه، ووقفوا ضده، لزهدهم وورعهم ولكن الأحوال تغيرت، والدنيا تبدلت والأجور اليوم على غير ما كانت عليه لأن العالم — مهما يكن زاهدا متقشفا — يحتاج إلى شيء من المال يستعين به على مطالب الحياة.

٥. طهارة المعلم:

يجب أن يكون المعلم طاهر الجسم والجوارح، بعيد عن الذنوب والآثام طاهر الروح، برئيا من الكبر والرياء والحسد، والعداوة والبغضاء، وغيرها من الصفات الذميمة، قال الرسول صلوات الله عليه وسلامه: "هلاك أمتى رجلان: عالم فاجر، وعابد جاهل، خير الخيار خيار العلماء، وشر الأشرار شرار العلماء".

٦. الأستاذ أب روحى لتلاميذه:

يجب أن يحب تلاميذه محبته لأبنائه، ويفكر فيهم كما يفكر فى أولاده، وعلى هذا المبدأ الإسلامى تبنى التربية الحديثة اليوم، ويجب أن يكون الولد الإلهى (هو الطالب) أحب إلى المعلم من الولد الصلبى، وإن الأب يضع أولاده فى قلبه أب عادى جدا، ولكن الأب الذى يضع أبناء غيره فى قلبه يعد من الآباء الطاهرين المثاليين، وإن أولى التلاميذ بالعطف والشفقة هو الفقراء الذين يأتون من منازل حكم عليها بالشقاء، ولا يحس بآلامهم أحد وهنا الفرصة أمام المدرس فى أن يعمل، للوصول إلى قلوب هؤلاء البائسين لينقذ حياتهم، وينجى أرواحهم من الموت والشقاء، ويجتهد فى مساعدتهم وتسهيل الأمور فى سبيلهم، بحيث يكون أبا شفيقا، يعطف عليهم، ويقوى ضعيفهم، ويشاركهم شعورهم.

٧. الأستاذ عالم نفسى :

يجب عليه أن يكون عالما بطبائع الأطفال وميولهم، وعاداتهم وأذواقهم، وتفكيرهم، كى لا يضل فى تعليمهم. هذا ما ينادى به علماء التربية فى القرن العشرين: ففى التربية الإسلامية كان المدرس مطالبا بالعلم باستعدادات الأطفال وطبائعهم، ومراعاتها فى أثناء التدريس لهم، كى يختار لهم الموضوعات الملائمة

التى هى فى مستواهم العقلى، (لا يرقيهم من الجلى إلى الدقيق، ومن الظاهر إلى الخفى دفعة وفى أول مرتبة، بل على قدر الاستعداد)، فلا ينتقل من السهل إلى الصعب، ومن الواضح إلى الخفى مرة واحدة، بل يتدرج معهم على قدر استعدادهم وإدراكهم وفهمهم.

٨. الأستاذ عالم متمكن من مادته:

هكذا يجب أن يكون الأستاذ، وأن يستمر فى البحث والاطلاع، حتى لا يصير تعليمه سطحيا، لا يسمن ولا يغنى من جوع، وقد كان للمعلم منزلة كبيرة فى المرحلة العالية من التعليم، وكان موضع ثقة وتقدير لدى الطلاب والآباء، ويختلف عن المعلم فى المرحلة الأولى كثيرا، ولا يتمتع بالمنزلة التى كان زميله يحظى بها فى تعليم الكبار، وقد نظر بعض الكتاب إلى المعلم الأولى نظرة ليس فيها احترام، فالجاحظ مثلا ينصح ألا نسترشد بمن أدمن الاختلاط بالأطفال والنساء، فى حين أن كثيرين من العلماء المشهورين كانوا معلمى أطفال، مثل الكميت الذى كان يعلم الأطفال فى مسجد الكوفة الجامع، والضحاك بن مزاحم، وعبد الله بن الحرث، وابن عبيد القاسم الذى ولى قضاء خرسان، وقد عُيِّر الحجاج بأنه معلم أطفال فى الطائف، وكان اسمه وقتئذ كليبا، فقال الشاعر فى ذمه، مشيرا إلى أنه كان يأخذ الخبز على سبيل الأجر:

أينسى كليب زمان الهزال ... وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ما ترى ... وآخر كالقمر الأزهر

وفى الكتب الإسلامية إرشادات كثيرة خاصة بالمعلم فى المراحل الأولى من التعليم نختار منها النصائح الآتية:

ألا يقتسم الطعام مع الأطفال، ولا يكتب إعلانات ويلصقها على باب الكتاب، ليجتذب التلاميذ إليه، لأن مثل هذا العمل لا يصدر إلا عن السوقة من الناس، ولا يفرق بين الأغنياء والفقراء من التلاميذ، ولا يستخدم الأطفال فى شئونه المنزلية، وأن يعامل الجميع بروح العدل والإنصاف، ويقوم بتعليم الأطفال بنفسه، وإذا صعب عليه ذلك أمكنه أن يكلف بعض الكبار من الطلبة تعليم الصغار من التلاميذ، وهو

نظام العرفاء في التربية، وهو نظام يسمح بإشراك التلاميذ فى أن يعلم بعضهم بعضا، ويملى بعضهم بعضا.

وقد لخص أبو شامة الشافعي في كتابه: (مجموعات الرسائل) آداب معلم الصبيان، فيما يلي:

"يبدأ بإصلاح نفسه، فإن أعينهم إليه ناظرة، وآذانهم إليه مصغية، فما استحسنه فهو عندهم الحسن وما استقبحه فهو عندهم القبيح، ويلزم الصمت فى جلسته.. ويكون معظم تأديبه بالرهبة، ولا يكثر الضرب والتعذيب.. ولا يمازح بين أيديهم أحدا.. ويقبح عندهم الغيبة، ويوحش عندهم الكذب والنميمة ولا يكثر الطلب من أهلهم".

وكلها توجيهات قيمة، لا اعتراض عليها في التربية.

وفى التربية الإسلامية يجيء المؤدب تاليا للأستاذ، والمؤدب هو مدرب خاص يقوم بتعليم طفل أو أكثر من أبناء العظماء والخلفاء، وتأديبه وتثقيفه فى بيته أو قصره، ويشترك الأب مع المؤدب فى اختيار المواد التى يدرسها الابن، ويستمر المتعلم فى دراسته حتى يصل إلى المستوى المنشود من التعليم، ولكى يشرف المؤدب على تلميذه من الأمراء إشرافا تاما كان يخصص له جناح فى قصر الأمير ليعيش فيه ويتناول طعامه وشرابه وينام فيه، وكان المؤدب يعطى تلميذه أربع ساعات أو أكثر كل يوم من وقته، ويمكث معه عدة سنوات يقضيها مع تعليمه وتهذيبه.

وكان الآباء من الخلفاء يحترمون المؤدبين لأبنائهم، ويعنون بهم عناية كبيرة، حتى كان لهم مركز أدبى كبير فى المجتمع، ولم يرض عن هذه الوظيفة بعض الزاهدين لعزة أنفسهم، وزهدهم كالخليل بن أحمد، وعبد الله بن إدريس، فإنهما كانا يقومان بالتدريس للجماعة لا لأبناء الطبقة الخاصة.

وهناك وصية لعبد الملك بن مروان لمؤدب أولاده، يقول فيها: (علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، وجنبهم السفلة، فإنهم أسوأ الناس رعة[1] وأقلهم أدبا،

[1] اقلهم ورعا.

وجنبهم الحشم[1]، فإنهم لهم مفسدة .. وأطعمهم اللحم يقووا، وعلمهم الشعر يمجدوا، وينجدوا[2] ومرهم أن يستاكوا عرضا، ويمصوا الماء مصا، ولا يعبوه عبا، وإذا احتجت إلى أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في ستر، لا يعلم به أحد من الفاشية فيهونوا عليه "فعبد الملك ينصح المؤدب بأن يعود أبناءه الصدق: ويعنى بالناحية الخلقية عنايته بالقرآن الكريم، وحفظه وفهمه، ويبعدهم عن السافلين الساقطين من الناس، حتى لا يحاكوهم في أقوالهم البذيئة، وأفعالهم الذميمة، ولا يتشبهوا بهم في قلة ورعهم، وسوء أدبهم، ويجنبهم الحشم والخدم، فإنهم مفسدون لأخلاقهم ولآدابهم، وعليه أن يعتني بإعطائهم اللحوم، والاهتمام بتغذيتهم كي تقوى أبدانهم، ولا تضعف أجسامهم، ويعلمهم الشعر وأوزان الشعر وقوافيه، حتى يتذوقوا ما فيه من الجمال، ويصيروا من العظماء، ويرتفعوا من مراكزهم في الحياة، ولا تهمل العناية بأسنانهم وتنظيفها بالسواك، لأنها موصلة إلى المعدة، والمعدة تتأثر بما يصل إليها من طعام وشراب، وعودهم أحسن العادات الصحية عند شرب الماء. وإذا أردت أن توبخهم أو تؤدبهم فاجتهد أن يكون ذلك كله سرا لا يعلم به أحد ممن يفشون الأسرار ويذيعونها، كي تحافظ على مركزهم ومنزلتهم .. وفي هذه الوصية لم يفكر عبد الملك بن مروان في التربية العلمية والدينية، والأدبية وحدها، ولكنه فكر أيضا في التربية الخلقية والجسمية واللسانية، والتربية الصحية، والتربية الاجتماعية.

وقال عمر بن عقبة لمؤدب ولده: ليكن أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك فإن عيونهم معقودة بك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت، علمهم كتاب الله، ولا تملهم فيه فيتركوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، روهم من الحديث أشرفه. ومن الشعر أعفه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم، وعلمهم سنن الحكماء، وجنبهم محادثة النساء، ولا تتكل على عذر مني لك، فقد اتكلت على كفاية منك، وفي رواية أخرى:

---

(1) الخدم

(2) يرتفعوا.

(وعلمهم سير الحكماء، وأخلاق الأدباء، وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء).

فهو ينصح لمؤدب أولاده بإصلاح نفسه أولا، ليكون قدوة حسنة، فإنه فى نظرهم مثلهم العالى، ينظرون إليه بعيونهم، يحاكونه فى أقواله وأفعاله، يستحسنون ما يفعل ويستقبحون ما يترك، وعليه أن يعلمهم كتاب الله، ليهتدوا بهدية، ويستضيئوا بنوره، وحذر أن تصل السآمة والملل إلى قلوبهم، فيتركوه، وحثهم على فهمه وحفظه، والاستمرار فى الانتفاع به، وكما نعنى بالقرآن الكريم يجب أن نعنى برواية الحديث الشريف. واختر لهم من الشعر العربى أعفه،وأبعده عن الغزل والهجاء، كى لا يتأثروا بما يدرسون وما يقرأون، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يجيدوا العلم الأول ويتقنوه، فإن إتقان المادة تسهل على المتعلم تذكرها، وكثرة المواد الدراسية فى المناهج تشغل الطالب عن الفهم، وعلمهم طرق الحكماء فى حياتهم وأعمالهم وتصرفاتهم، حتى يقتدوا بها، وأبعدهم عن محادثة النساء، خوفا من الفتنة والوقوع فى الضلال، ولا تتكل على عذر منى لك، فقد اتكلت على كفايتك، ووثقت بإخلاصك وأمانتك، وكن لهم كالطبيب الماهر الذى يشخص المرض ويعرف كنهه أولا، ثم يعمل على معالجته، وهى نصيحة قيمة يجب أن ينتفع بها كل مؤدب أو معلم، يحرص على أن يكون مثلا عاليا فى الأخلاق، ماهرا فى التدريس، يشجع طلبته على حفظ القرآن، ودراسة الحديث، ويرغبهم فيهما، ويختار لهم من الشعر أعفه وأحسنه، ليشبوا وهم يجيدون كل مادة، ويقتدون بالحكماء فى حياتهم، ويبتعدون عن النساء، ويتفرغون للعلم والدراسة والبحث.

وقال هشام بن عبد الملك لسليمان الكلبى مؤدب ابنه: "إن ابنى هذا هو جلدة ما بين عينى، وقد وليتك تأديبه، فعليك بتقوى الله، وأد الأمانة، وأول ما أوصيك أن تأخذ بكتاب الله، ثم روه من الشعر أحسنه، ثم تخلل فى أحياء العرب فخذ من صالح شعرهم وبصره طرفا من الحلال والحرام والسير والمغازى".

فهشام يقول لمؤدب ولده: إن ابنى أعز شىء لدى، وقد وكلت إليك تعليمه وتهذيبه وبوصيه بتقوى الله، وأداء الأمانة، فإن لصلاح المعلم أثرا فى نفس المتعلم،

والرجل الصالح ينتفع بعلمه وتقواه، وأول وصية يوصى بها هشام العناية بالقرآن الكريم، وحفظه ودراسته، ثم رواية أحسن الشعر يكسب ابنه ذوقا فى الشعر، يمكنه من أن يقدر ما فيه من روعة الأسلوب، وجمال الخيال،وصواب الفكرة، ثم الرحيل معه، والانتقال بين أحياء العرب : ليروى عنهم أحسن الشعر، ويتلقى منهم أجمله، وتفهيمه ما أحله الله، وما حرمه، حتى يكون بصيرا بدينه، ويعرف حلاله من حرامه، يفعل الأول ويتجنب الثانى، وشجعه على دراسة خطب الخطباء وحفظها، والانتفاع بما فيها من حكم رائعة، وآراء سديدة ونصائح ثمينة، وأساليب بليغة، ومعرفة مغزى كل خطبة، وما يرمى إليه الخطيب من خطبته.

وفى عصر الدولة الفاطمية، أنشأ الفاطميون فى قصورهم مدارس خاصة لتعليم أبناء الولاة، وسراة المسلمين، وتربيتهم تربية تمكنهم من ملء المناصب الهامة فى الدولة.

ومن المبادىء فى التربية الإسلامية عن (العالم والمتعلم):

١- المودة والأخوة فى الله:

فالعالم مطالب بالشفقة على المتعلمين، ومعاملتهم كما يعامل الأب أبناءه، والمتعلمون مطالبون بإرضاء أساتذتهم واحترامهم، وتبجيلهم، ففى تقوية الرابطة والألفة بين العلماء والمتعلمين دعم لأسس النجاح فى التربية والتعليم، فإن نجاح المربى يتوقف عل غرس روح الثقة والمودة بينه وبين تلاميذه، فإذا أخلص المدرس لتلاميذه، وأحسوا بعطفه عليهم وحبه لهم كان العسير من المواد ميسرا، والصعب سهلا، وقد ينفر الطالب من علم من العلوم لنفوره من مدرس ذلك العلم، وقد يحب المتعلم مادة من المواد، ويتعلق بها كل التعلق لحبه لمدرس تلك المادة، وتعلقه به.

ولقد نبه فلاسفة التربية الإسلامية إلى أثر حسن الصلة بين المدرس وتلاميذه فى التربية والتعليم، فعنوا كل العناية بهذا المبدأ ودرسوا ميول الطلاب، ومستواهم العقلى والعلمى، وبحثوا عن خير السبل لإفادتهم والنهوض بهم. واستعملوا فى تعليمهم الترغيب والتشويق، لا الإرهاب والتخويف، وشجعوا استعمال

المدح والثناء، وتركوا التوبيخ والتأنيب، فنجحوا كل النجاح في أداء رسالتهم العلمية، وكانت التربية الإسلامية تربية مثالية تتمثل فيها الناحية الإنسانية.

٢- الخلق الكامل:

لقد عد المسلمون الأخلاق الكاملة أفضل من العلم، وجعلوها أساسا لنجاح العالم والمتعلم على السواء، فكما أن الوضوء يجب أن يسبق الصلاة كذلك ينبغي أن يبدأ المعلم والطالب بتطهير نفسيهما من الرزائل والنقائص، لأن العلم أيضا نوع من العبادة، ولاريب أن في ذلك لب الحكمة، ونهاية الرشد، فكل تربية لاتؤسس على الخلق الكامل تعد تربية فاشلة، وكل مدنية لا تؤسس على الخير والفضيلة، تعد مدنية خداعة زائفة كالسراب.

٣- تقديس العلم والعلماء:

إن من أروع مبادىء التربية الإسلامية تقديس العلم والمعرفة وتقديس العلماء والمعلمين، فالعلم كان مقدسا، والمعلمون كانوا مقدرين لدى الإسلام والمسلمين، لهذا أخلص العالم والمتعلم الإخلاص كله في الدراسة والبحث، وثابرا عليهما، فوجد بين المسلمين أفذاذا لا نظير لهم من العلماء والمتعلمين، ولكن المغالاة في هذا التقدير قد أدت إلى إضعاف روح النقد بينهم.

٤- ومن أهم واجبات الأستاذ رأى الإمام الغزالي:

أ- أن يشفق على المتعلمين، ويجريهم مجرى بنيه، فقال رسول اللهﷺ: " إنما أنا لكم مثل الوالد لولده. . . " يعاملهم كما يعامل أبناءه.

ب- ألا يدع من نصح المتعلم شيئا، بل ينتهز كل فرصة لنصحه وإرشاده.

ج- ألا يقصد بالتعليم جزاء ولا شكورا بل يقصد به وجه الله، والتقرب إليه.

د- أن يراعي مستوى الأطفال من الناحية العقلية، ويخاطبهم على قدر عقولهم، ولا يلقي إليهم أشياء فوق مستوى إدراكهم حتى لا ينفروا من التعلم ويتخبطوا فيما يفهمون، وهذا خير مبدأ في التربية الحديثة اليوم.

هـ - أن يزجر الطالب عن سوء الأخلاق، بطريق التعريض ما أمكن. ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فالغزالى ينصح بالزجر بالإشارة والتلميح لا التصريح إذا حدث من المتعلم ما ينافى الأخلاق مع مراعاة الرأفة والرحمة فى زجره.

و - وأن يعمل الأستاذ بعلمه، فلا يقصر فعله عن قوله — وفى كتاب الله العزيز: "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم".

ز- ألا يقبح فى نفس الطالب علوم غيره: فينبغى أن يوسع على المتعلم طريق التعلم فى غير علمه، ومعنى هذا أنه يجب ألا يتعصب لمادته.

ح - ينبغى أن يلقى إلى الطالب القاصر (الضعيف) العلم اللائق به، ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه حتى لا تفتر رغبته، ويضطرب عقله، ويقصد بهذا مراعاة مستوى الضعفاء من المتعلمين، واختيار المادة السهلة الواضحة التى تناسبهم، وألا يشعرهم بأنهم ضعفاء، أو أغبياء، حتى لا يؤثر فى نفوسهم تأثيرا سيئا، فإن هذا النوع من الإيحاء مضر بهم.

هذه هى مكانة الأستاذ أو المدرس أو المعلم فى التربية الإسلامية. وهذه هى واجباته وحقوقه.

وللأستاذ على المجتمع فى الإسلام كل التقدير والاحترام والرعاية والمعاونة الأدبية والمادية.

إن الأستاذ هو مربى الأجيال وهو سر نبوغ التلميذ وتفوقه فى الحياة.

الإسلام والشباب

الشباب القوة المحركة للحياة، والدم الذى يتدفق دائما فى شرايين الأمة، والأمل المتجدد الذى يخفق فى صدر الشعوب.

كل ما يمكن أن يحلم به الإنسان هو أن يعيش دائما فى عصر الشباب، لأنه الصحة، والقدرة، والعمل، والحيوية المحركة لكل دواليب الإنتاج، والطاقة التى تتحرك من أجل بناء الرخاء والتقدم والحضارة .. ولأنه الوفرة والمال والسعادة.

الأمم تعنى بالشباب، وبتربيته التربية الصالحة، وبتعليمه التعليم المثمر، وبتوجيهه التوجيه الفعال فى الحياة.

مصر اهتمت بالشباب، فكان لهم فى الدولة وزارة، ومن أجلهم كانت المدارس والمعاهد والجامعات، والأندية ومراكز الشباب وقصور الثقافة؛ ليتخرج منها جيل الغد وأبناء المستقبل، حتى يخدموا وطنهم وأمتهم ويؤدوا ما عليهم من واجبات.

ويتلقى فى بلدنا الشباب كل العناية والرعاية والتوجيه الدينى الصادق، من أجل ربط الشباب بربهم وبدينهم، وأن يتحلوا بالفضائل، ويتجنبوا الرذائل، ويعرفوا قيمة الحياة وقيمة العمل وقيمة تحمل المسئولية والشعور بالواجب، والتفانى فى حب الجماعة وحب الأمة.

ومن قديم كان توجيه الحكماء فى مصر للشباب وربطهم بالدين عاملا مهما فى بناء الحضارة والدولة المصرية العظيمة، يقول بتاح حوتب الحكيم المصرى القديم فى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد، وكان وزيرا:

"لا تفعل الإثم أيها الفتى، فالإثم عار، وأنقذ نفسك من تأنيب الضمير كل نهار".

والدين الإسلامى حافل بكل نظم التربية الصالحة للأبناء، والتوجيه الروحى الصادق للشباب، والحدب عليهم ورعايتهم الرعاية الكاملة، ووصايا لقمان

الحكيم لأبنه جاءت فى سورة لقمان وفيها يقول الله عز وجل على لسان لقمان يوصى ابنه:

"يا بنى أقم الصلاة، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور، ولا تصعر خدك للناس، ولا تمشى فى الأرض مرحا، إن الله لا يحب كل مختال فخور".. إلى آخر هذه الوصايا الحكيمة الرفيعة.

وكل ما جاء فى الدين والقرآن من حقوق وواجبات فهى تكليف إلهى للرجال والشباب، للفتاه وللمرأة.. وعندما ينحرف ابن يكون مصيره الهلاك.

ونحن حين ننشد للشباب دورا كبيرا فى خدمة وطنهم لا يصح أن يفوتنا ضرورة بناء بلدنا بناء جيدا على أيدى الشباب وضرورة فهم شبابنا لرسالتهم وللمسئولية الملقاة على كواهلهم، وللأمانة التى وضعت فى أيديهم.

فتحمل المسئولية هو معنى القوة والحياة والأمل، وبدون الحرص على تحملها يصبح كل شىء خاويا وقابلا للانهيار فى أى وقت.

وأنا لا أحب من شبابنا اليوم أن يضعف أمام مسئولياته، ولا أن يجبن عن تحملها.. لأن ذلك معناه هزيمة كبيرة لروح الأمة ولقلب الوطن.

إن ظاهرة الهروب من الشباب للعمل فى الخارج مع ضرورة أن يعملوا داخل بلادهم من أجل الشعب، ومن أجل الإنتاج، ومن أجل الحرص على مستقبل أفضل لمصر الخالدة.

د.م، وعن بعث القوة المعنوية فى نفوسهم.. ولا يصح أن تكون أنديتنا مكانا للتسلية فحسب، بل يجب أن تكون مدرسة متكاملة لتخريج فنيين من شبابنا فى كل فروع الحياة، ولتخرج نماذج مختارة من أبنائنا يصلحون للعمل فى كل مجالات حياتنا.

إننى أطالب الشباب بأن يكون طموح القلب والعقل، من أجل بناء مستقبلهم، وأن تكون جميع تطلعاتهم لخير بلدهم وأهلهم .. وأنا لا أستحب هذا التطلع الشائن من الشباب للعمل فى الخارج مع ضرورة أن يعملوا داخل بلادهم

من أجل الشعب، ومن أجل الإنتاج، ومن أجل الحرص على مستقبل أفضل لمصر الخالدة.

كما حدث لابن نوح حين عصى أباه وعصى ربه فكان من المغرقين .. وفي الحوار بين إبراهيم وابنه إسماعيل مثل رفيع للتربية الرائعة للأبناء وللشباب وقد أولى الرسول صلوات الله عليه الشباب كل حبه وحنانه ورعايته.

أسامة بن زيد الشاب المؤمن كان أحب الناس عند رسول الله ﷺ، وولاه إمرة الجيش الذى وجهه صلوات الله عليه فى أخر حياته إلى الشام لمحاربة الروم.

على ابن أبى طالب الشاب المؤمن البطل كان له المنزلة الكبيرة عند رسول الله ﷺ ، وولاه إمرة العديد من الغزوات، واختاره زوجا لابنته فاطمة الزهراء دون غيره من أعلام الصحابة ممن تقدموا لخطبتها.

وكان عمر بن الخطاب يختار الشباب للإدارة ولقيادة الجيوش، وكان يستشيرهم فى كثير من المشكلات..

فإذا عرضت مشكلة دعا كبار الصحابة فعرضها عليهم، يأخذ فيها رأيهم.. ثم يدعوُ الشباب ويعرض عليهم المشكلة ويستشيرهم فيها، ليعرف رأيهم فيها، فربما كان عند أحدهم فكرة أو رأى طريف لم يهتد إليه أحد من الشيوخ.

والحكمة السائدة فى الإسلام: المرء بأصغريه قلبه ولسانه، لا بسنه وتقادم عمره.

والأحداث الكبرى من منجزات تاريخ الإسلام إنما صنعها الشباب، الذين ألقيت على كواهلهم مسئوليات، وكان عليهم نحو دينهم وربهم ووطنهم وأممهم واجبات.

والعبقرية دائما تكمن فى روح الشباب، وتنتهز الفرصة المواتية للظهور، وكثيرا ما يكون عصر الشباب هو عصر المنجزات العظيمة، والأعمال الخارقة.

والعرب تشبه كل شيءمتجدد فى الحياة بالشباب، قالوا عن الربيع: الربيع شباب الزمان، وقالوا عن الورد: إنه شباب الزهور.

والطاقة المتجددة فى الشباب هى سر حيويتهم وسر أصالتهم معا .. ولا يمكن أن يخلد الشباب أبدا إلى الراحة والكسل، بل إن الطموح والأمل والعمل هى جوهر روح الشباب.

وكلما شعر الشباب بالواجب، واستيقظ فيهم الضمير، وعرفوا ضرورة تحمل المسئولية، والقيام بعبئها، وحمل أمانتها، كلما دل ذلك على أن روح الشباب بخير، وأنهم يعرفون ما عليهم نحو أمتهم ووطنهم.

إن الخمول والكسل والإخلاد إلى الراحة، وعدم التقدير للواجب، والنفور من تحمل المسئولية كلها خلال ليست من طبيعة الشباب أبدا.

فهرست الكتاب